ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
25.10.2014

@ketab_n
Follow Me

حسناء الصخور الصفر

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

جمع: فرانك هاملتون كاشنغ
ترجمة: إيزميرالدا حمدان

حسناء الصخور الصفر

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

جمع:

فرانك هاملتون كاشنغ

ترجمة:

إيزميرالدا حمدان

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

حسناء الصخور الصفر

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

Twitter: @ketab_n

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

حسناء الصخور الصفر: الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

© حقوق الطبع محفوظة

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

E99. Z9. C9712 2009
Cushing, Frank Hamilton, 1857-1900.
[Zuni Folk Tales]

حسناء الصخور الصفر: الحكايات الشعبية لقبيلة الزوني/ جمع فرانك هاملتون كاشنغ؛ ترجمة إيزميرالدا حمدان. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
240ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 2- 506-01-9948-978
ترجمة كتاب: Zuni Folk Tales
1 - القصص الشعبية الأمريكية 2 - الحكايات الأمريكية. أ- حمدان، إيزميرالدا. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
محنة العاشقين أو حسناء ماتساكي والريشة الحمراء	24
«سوني سوناتشي»	47
حكاية الشاب والنسر	66
حكاية راعية ديوك الحبش الفقيرة	89
كيف جاءت طيور الصيف	102
ثعبان البحر	139
حسناء الصخور الصفر	152
ربيب الغزال	189
الفتى الصياد الذي لم يتقدم بالأضاحي للغزلان التي اصطادها	209

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

بات من المفيد مقارنة خرافات الشعوب مع العلم، حيث يستخدم مصطلح الميثولوجيا للدلالة على خرافات القدماء، ويستخدم مصطلح الفلكلور (الفن الشعبي) للدلالة على خرافات الجهلة في أيامنا المعاصرة. وقد دُرست الأساطير القديمة بعناية من قبل المفكرين المعاصرين لأغراض التشبيه والكناية في بناء الأدب وخاصة في الشعر، ومن ثم التحقق منها لسبر أغوار المعاني الغامضة فيها، بناء على النظرية التي تقول إن حكمة القدماء كانت أسمى بكثير من الحكمة المتداولة في عصرنا هذا. وحالياً، يشارك العلم في هذا المجال، مقارناً ما بين الأساطير، وبين هذه الأخيرة والعلم نفسه، بهدف استكشاف مراحل تطور التفكير البشري.

عندما غدت أساطير الإنسان القبلي موضع الدراسة، أصبح معروفاً أن فلسفة الإنسان القديم حملت طابع الأساطير التي تشرح ألغاز الكون ضمن مجموعة من الحكايات يقصها

Twitter: @ketab_n

العجائز والأنبياء والكهنة. يتشارك موروث الحكمة بين البدائيين الأصول والمعاني والدلالات نفسها الواردة في موروث هسيود[1] وهوميروس[2]، لجهة كونها أساطير بالمعنى الأولي. ولكن أساطير الإنسان القبلي مجردة من فتنة الشعر وسحره، ولهذا فهي قد تبدو فظة وحشية بالمقارنة مع الأوذيسة مثلاً، ولا يمكن تصنيفها فلسفياً في أي مرتبة أعلى من قصص الجهلة وخرافاتهم والتي تدعى بالتراث الشعبي، ولذلك وبالتدريج أصبحت أمثال هذه الأساطير جزءاً من التراث الشعبي. وبالتالي فالفلكلور أو التراث الشعبي هو أساطير منقوصة المكانة، أو فلسفة مندثرة ارتدت قالب الأساطير. وفي أيامنا هذه فإن قصص الإنسان الهمجي[3]، والتي تفتقر إلى النبض الفلسفي الخلاق حسب تقييم الإنسان المتحضر أو المتعلم، تدعى اليوم بالتراث الشعبي (الفلكلور) أو الحكايات الشعبية. وتشكل هذه القصص الشعبية التي جمعها السيد كاشنغ، مجموعة ساحرة من الحكمة التي يؤمن بها قوم

(1) شاعر ملحمي يوناني يعتقد أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، تنسب إليه قصيدتان ملحميتان هما الثيوغونيا والمشاغل والأيام (م).

(2) المعروف، صاحب الإلياذة والأوذيسة (م).

(3) في زمن وضع هذا الكتاب وقبله كان من الرائج لدى الغرب استعمال مثل هذه الكلمة Savage في وصف القبائل الأفريقية أو قبائل الهنود الحمر (م).

Twitter: @ketab_n

زوني[1]، رغم أنها قد لا تكون تشكيلة ساحرة من حكايات قوم زوني الهزلية كما قد نذهب نحن إلى الاعتقاد. فقد ينظر عصر ما بعين السخرية إلى حكمة العصر الذي سبقه، وقد تبدو آراء الإنسان القبلي طفولية للإنسان المتحضر. إذن لماذا يتحتم علينا أن نبحث ونكتشف أفكاره؟

إن العلم الذي يسعى لمعرفة حقائق الكون، لا يتوقع أن نعثر عليها في الأساطير أو التراث الشعبي، وحتى أنه لا يعتبرها أساسية في التنميق الأدبي، على الرغم من أنها تخدم هذا الغرض جيداً. ولكن في عصرنا هذا يعتبر العلم الحديث الموروث الأسطوري شديد الأهمية لمعرفة مسار التطور الإنساني، تطور اللغات وأخيراً التطور في الآراء والمعتقدات. فتطور المعتقدات هو من الفصول الهامة في علم النفس، إذ لا يعود علماء النفس إلى الماضي بغية العثور على معتقدات راسخة بل ليعثروا على مراحل تطور تلك المعتقدات، وعلى هذا فإن للأساطير أو التراث الشعبي فائدة أساسية وأهمية عظيمة.

---

(1) Zuni: قوم زوني أو أشيوي كما يسمون أنفسهم هم قبيلة من سكان أمريكا الأصليين، تنتمي إلى شعوب «بويلو» (كلمة مكسيكية تعني الدسكرة أو القرية أو الضيعة) Poeblo عاشوا (وما زالوا يعيشون) على ضفاف نهر زوني المتفرع من «نهر كولورادو الصغير»، في غربي ولاية نيو مكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية. وتبلغ مساحة مدينة زوني الراهنة 55 كيلومتر ويبلغ عدد سكانها 12000 نسمة 80 بالمئة منهم من قبيلة زوني، و43 بالمئة من سكان هذه المدينة هم تحت خط الفقر (م).

Twitter: @ketab_n

وبسبب عصا كاشنغ السحرية فإن الحكايات الشعبية لأهل زوني قد قدّر لها أن تصبح جزءاً من الأدب الحي في العالم، فهو شاعر على الرغم من أنه لا يكتب الشعر بالمعنى التقليدي للكلمة، ذلك أنه يمتلك القدرة على التفكير كما يفكر مبتدعو الأساطير، ويستطيع الحديث كما يتحدث الأنبياء، وفي وسعه الشرح كما يفعل الكهنة، وتتمتع قصصه بما يبدو أنه جوهر الأدب الشعبي القديم، كما أن تعاطفه مع أساطير الإنسان القبلي لا يحجب عن عقله حقائق العلم.

كانت آلهة زوني، كحال جميع البدائيين، أسلاف الحيوانات القديمة، لذا يتحتم علينا أن نفهم ونقدر من أعماق قلوبنا أفكارهم البسيطة كي نكون عادلين بحقهم. جميع الشخصيات هي حيوانات – بشرية، الوحوش، النباتات، النجوم، الأراضي، المياه والصخور، جميعها لديها أرواح. الأرواح هي كينونات ضبابية قليلة الكثافة، أو كائنات غازية تستوطن أجساداً مادية. إنها جميعاً أشباح تمتلك أجساداً، وباستطاعتها مغادرة هذه الأجساد، وإن اكتشفت كينونات خالية فإن باستطاعتها الاستيلاء عليها. تعود القوة والعقل للأرواح، في حين تنتمي الأشكال الثابتة والوجود الثابت إلى المادة، و معاً تقوم الأجساد والأرواح

Twitter: @ketab_n

بتشكيل العالم. إن الكون عالم من الحيوانات، فالنجوم هي حيوانات مجبرة على الارتحال حول العالم عبر السحر. والنباتات هي حيوانات تخضع للسحر، حتى لا تتمكن من السفر. والمياه هي حيوانات مسحورة. والبحيرات تتلوّى ألماً بسبب الأمواج، والبحر يسافر في دوائر حول الأرض، و الجداول تجري حول الأرض. والجبال والتلال ترتجف بألم، ولكنها لا تستطيع أن تتجول في المكان، وقد يتسنى للصخور والجبال أن تتحرك ليلاً في بعض الأحيان.

انبثقت حيوانات العالم عبر سلسلة لا تنتهي من الأجيال، فكانت الأوائل آلهة تلقّب بالقدماء، أو الأوائل، والأجيال التي تلتها هي نسل الآلهة، ولكنها للأسف منحلة. إن مسرح العالم هو مسرح استحضار الأرواح، والآلهة هي صانعة المعجزات الأولى، تبقى الآلهة على قيد الحياة في حين أن نسلها يموتون، حيث أن الموت نفسه هو نتيجة ممارسة استحضار الأرواح من قبل أناس أشرار أو آلهة غاضبة.

في كل لغة من لغات الهنود الحمر، هناك مصطلح يعبر عن تلك القوى السحرية. فهي لدى القبائل الإيروكويانية[1] تدعى

(1) Iroquian Languages: إحدى لغات سكان أمريكا الأصليين (م).

Twitter: @ketab_n

أوريندا، وتدعى بعض تجلياتها لدى القبائل السيوانية[1] بـ (واكان أو واكاندا) ولكن المصطلح الأصلي في تلك اللغة هو هوبي. وتدعوها قبائل شاوشونيان بـ (بوكونت). ولنقم باستعارة أحد هذه المصطلحات وهو (أوريندا)، إذ تعزى جميع الظواهر التي لا تفسير لها إلى هذه الأوريندا التي تمتلك القدرة على الانتقال من ثعبان إلى سهم وبذلك يصبح السهم مسحوراً. ويمكن للثعبان أن يتمدد إلى جانب السهم ويمكن أداء طقس ما حتى تنتقل الأوريندا من الأفعى إلى السهم، أو قد يتم طبخ الثعبان كحساء من قبل عرافة ما ويغمس السهم في الشراب. لم يساهم إنسان بمفرده في تعميق فهمنا لمعتقدات الأوريندا كما تم الايمان بها وممارستها من قبل قبائل الهنود الحمر مثلما فعل كاشنغ. وقد قام في منشورات أخرى بمناقشة هذا المعتقد بالتفصيل، وسعى في محاضراته إلى إبراز أشكال ممارسة هذا المعتقد وأدواته، والأواني التي تمارس فيه لها أوريندا (قوى سحرية) خاصة بها تحرّكها.

بينما كان أحد القدماء، أي أحد الآلهة، من الإيروكويان يخطط أنهار الأرض، باستعمال الأوريندا الخاصة به أو قواه السحرية، قرر أن يجعل جميع الجداول تجري نحو الأعلى في جانب من الأرض وتجري إلى الأسفل في الجانب الآخر، ولو

(1) Siouan: لغة أخرى من لغات السكان الأصليين (م).

Twitter: @ketab_n

أنه فعل ذلك لتمكن الإنسان من أن يطوف نحو الأعلى أو نحو الأسفل وفي الحالتين كان سيستطيع الانتقال من جانب إلى جانب آخر، ولكن أخاه الشرير تدخل وجعل جميع الأنهار على كلا الطرفين تجري نحو الأسفل، وهكذا فإن أوريندا (قوة سحرية) يمكن أن تهزم أوريندا (قوة سحرية أخرى).

عالمياً، يعتبر الإنسان القبلي أن الطيور المغردة تمارس أوريندا خاصة بها، وعندما يقوم البشر بالغناء فهم أيضاً يمارسون أوريندا، وهكذا فإن الأغنية تصاحب دوماً طقوس العبادة لدى الهنود الحمر، إذ يعتقدون أنه من الممكن إغراء الآلهة لتمنحهم نعمها عبر إسعادها بالغناء.

ويعزو الإنسان القبلي جميع الأمراض والأوجاع التي تصيب البشر إلى الأوريندا، وجميع الأساطير هي عن نظرية السحر. ومع ذلك فإن العديد من القبائل إن لم تكن جميعها، تعلّم في حكاياتها بعض الطرق لنقل الموت والأمراض إلى العالم، ولكنها الطرق التي تستطيع بواسطتها القوى غير الطبيعية أن تسبب المرض والموت.

Twitter: @ketab_n

يسمى الأنبياء والذين هم أيضاً الكهنة والأطباء (شامان) في الأدب العلمي. ولكنهم غالباً ما يلقبون بالأطباء في الأدب الشعبي. عادةً ما ينضم الشامان إلى طائفة، وغالباً ما يقوم بشرح الهدف من الطقوس التي تقوم بها القبيلة. غالباً ما يجد بعض الأفراد الوحي فينطلقون من أجل دعوة ما، أو يطردون الأمراض، أو يعظون ككهنة. إذا حصلوا على أتباع فقد يستطيعون ممارسة تأثير أكبر ويحصلون على احترام وتوقير كبيرين، ولكنهم إذا فشلوا فإن النظرة إليهم ستتحول تدريجياً من كهنة إلى عرافين وسحرة، وقد يتم اتهامهم بممارسة السحر الأسود وفي الحالات المتطرفة قد يحكم عليهم بالموت. جميع الهنود الحمر يؤمنون بقوة الشامان وبوجود السحر.

وغالباً ما تدعى أساطير الكون بأساطير الخلق، وفي بعض الأحيان جميع الأساطير التي تفسر شيئاً ما، حتى أقلها أهمية، تدعى أساطير الخلق. كل ظاهرة غريبة تمت ملاحظتها من قبل الهنود الحمر لها أسطورة وضعت لتشرح أصلها. قرن الثور، الرقعة الداكنة على ظهر الأرنب، عرف طائر أبو زريق، ذيل غراب العقعق، بريق الحرباء، جلجلة الأفعى، في الحقيقة كل

Twitter: @ketab_n

شيء يستدعي الانتباه يمنح قوة للأسطورة. ولهذا تبدو الحكايات الشعبية للهنود الحمر كأنها لا تنضب، ذلك أنه في كل لغة، وهناك المئات من اللغات، هنالك مجموعة مختلفة من الأساطير.

في جميع هذه اللغات نلاحظ تشابهاً غريباً في النظرة إلى الكون، وهو أنه مكون من مناطق أو عوالم. في موطن القبيلة تجتمع مجموعات من العوالم، واحد في الأعلى والآخر في الأسفل وأربعة أخرى واحد في كل من الجهات الرئيسية، أو ربما نستطيع وصفه بالعالم الرئيسي، العالم العلوي، العالم السفلي، العالم الشمالي، العالم الجنوبي، العالم الشرقي، والعالم الغربي. جميع حيوانات القبيلة، كونها حيوانات بشرية، حيوانات في شكل أشجار، أو ربما في شكل نجوم ومياه (أي الأجسام المائية)، أو حيوانات حجرية (أي الجبال والتلال والوديان والصخور) لها مكانها المناسب في العالم الأعلى، أو في العالم الأسفل أو في أحد عوالم الجهات الأصلية الأربعة، وإن تعايشها في العالم المركزي هو ما يفسر بعض أساطير الارتحال إلى هذا العالم. جميع الأجسام وجميع صفاتها لها منزل أو مكان مناسب للإقامة، حتى ألوان الغيوم وقوس قزح، وجميع الأشياء الأخرى على الأرض موزعة على ست مناطق قدمت منها إلى العالم الأوسط.

Twitter: @ketab_n

وربما نستطيع أن نتفهم بشكل أفضل عادات التفكير هذه إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى التراث الشعبي لهذه الحضارة. نحن لدينا ثلاث مناطق رئيسية: الجنة والأرض والجحيم. جميع الأشياء الجيدة تأتي من الجنة، وجميع الأشياء السيئة تأتي من الجحيم. صحيح أن أمثال هذه النظريات الكونية ليست مستحبة عند العلماء. ذلك أن رجلاً متنوراً يفكر في الخير الأخلاقي كحالة عقلية لدى الفرد وميزة من ميزات روحه، ويعتبر الشر الأخلاقي كصفة من صفات الإنسان غير الأخلاقي، ولكن يبقى الأمر عالمياً حتى إن أكثر مفردات الكلام ذكاءً ترمز إلى الجنة على أنها مكان الخير، وإلى الجحيم على أنه مكان الشر. والآن إذا عمدنا إلى توسيع هذا المفهوم كي نحدد أماكن المناطق المناسبة لجميع الأجسام والصفات، سنستطيع فهم النظرية الكونية للهنود الحمر.

إن الدين البدائي لكل قبيلة من قبائل الهنود الحمر هو عبارة عن نظام إغراء للقدماء ليتخذوا دوراً في العلاقات البشرية. وإن عبادة الآلهة هي نظام مصمم لإرضائها، كي يجيروا الأمور لصالح البشر، وخصوصاً لصالح أفراد القبيلة الذين يعبدون هذا الإله. لن يكون الوقت كافياً لأخبركم عن

Twitter: @ketab_n

النشاطات المتعددة في الحياة القبلية والمصممة لهذا الهدف، ولكن يمكن ذكر بعضها. إن أول هذه النشاطات وأكثرها أهمية هي طقوس الرقص والاحتفالات. الغناء والرقص شيء عالمي، والمهرجانات تقام في مواعيد وأماكن محددة من قبل كل قبيلة. تخصص ليالي الشتاء الطويلة للعبادة بشكل كبير، ويتم وضع أسس تسلسل الاحتفالات، حتى تتم إقامتها في المواسم المناسبة لعبادة الآلهة. وبالتالي فإن هناك أياماً احتفالية لمناشدة المطر، وللشكر على النعم وعلى الحصاد التي أتي به إلى المنزل. وفي الأراضي التي تكون فيها الجنادب ضمن الأطعمة الهامة، فهناك احتفالات للجنادب، وحيث الذرة هي من الأطعمة الرئيسية فهناك احتفالات الذرة الخضراء، وعندما يكون للثور دور هام في غذاء القبيلة فهناك رقصات تكرس للثيران. وهكذا، نجد أن هناك مهرجانات أو رقصات مكرسة للدببة أو الظباء، والكثير من المهرجانات الأخرى التي نراها في تنقلنا من قبيلة إلى أخرى، وجميعها تقام في أوقات محددة توضحها إشارات الفلك. كما نجد لدى القبائل الأعلى تقاويم تفصيلية نستطيع من خلالها أن نحل ألغاز كتاباتهم التصويرية.

Twitter: @ketab_n

إن ممارسة الطب من قبل الشامان هي دعوة توجه للآلهة لإخراج الأرواح الشريرة من المرضى أو إخافتها حتى تغادر. وباستخدام الموسيقى والرقص فهم يحصلون على مساعدة القدماء وبوجود العديد من الطرق والأساليب يقومون بإبعاد الكائنات الشريرة، وهم يلجأون عادة إلى الأضاحي و الكي، خاصة إذا كان المريض يعاني قدراً كبيراً من الآلام الموضعية. وتؤمن جميع قبائل الهنود الحمر إيماناً راسخاً في الإشارات، ويستخدمونها في إعداد التعاويذ كدواء يبعد الأمراض والأشباح التي تؤدي لمرض قومهم.

يلي مزاولة العبادة بالرقص والغناء في الأهمية عبادة الهيكل. ذلك أن الهيكل هو فراغ على الأرض، أو منصة يتم رفعها فوق الأرض أو كيفا (Kiva) أو مقر اجتماع القوم. وحول الهيكل يجتمع الكهنة ومساعدوهم، وهنا تقام الصلوات وتؤدى الطقوس بمساعدة مختلف أنواع قطع الهيكل، خاصة أدوات الكتابة التصويرية على الخشب، والعظام، أو جلود الحيوانات. تتألف قطع الهيكل من تماثيل عن الأشياء التي تقدم من أجلها الأضاحي، سنابل الذرة أو أوعية الطعام، وأباريق مياه، وأجزاء من الحيوانات التي تؤكل، مثل كعك الجنادب، أو أوعية العسل،

Twitter: @ketab_n

أو أي نوع جيد من الأطعمة، ثم البلورات أو أجزاء من الصخور لتوحي بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة قاسية، أو أوعية العسل لتوحي بأنهم يرغبون أن تكون الذرة حلوة، أو قد يضعون بعض الذرة متعددة الألوان ليوحوا بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة في هذا العام متعددة الألوان. وهذا له أهمية كبرى بالنسبة للطلاب الذين يدرسون الأعراق البشرية فيما يخص نمط الكتابة التصويرية المعروضة حتى الآن في الهياكل. وفي هذا الكثير من التنوع في الأشياء التي قد يرغبون فيها وتنوع أكبر في خصائص وميزات هذه الأشياء والتي تمثلها الصور التوضيحية، أو التماثيل الصلصالية، أو المحفورة في الخشب والعظام. يعود الفن التصويري، مثل الرسم والنحت، في أصوله إلى الإنسان القبلي من خلال تطوير قطع الهيكل. وكذلك فإن التمثيل مأخوذ من العبادة البدائية، ومثلهما فإن الطب الحديث تم تطويره من الشعوذة.

ونجد لدى الهمجيين أسلوباً آخر للعبادة ولكنه أكثر تطوراً لدى البرابرة[1]، ويتمثل بعبادة القرابين. فقد تطورت أجزاء

(1) لعل التمييز بين «الهمجيين» و«البرابرة» يعود إلى أن الفئة الأولى هي مجرد فئة بدائية متخلفة عن ركب الحضارة (بنظر الغرب ومقارنة به) أما الفئة الثانية فهي التي تمارس ممارسات وحشية مثل الأضاحي البشرية التي يأتي صاحب المقدمة على ذكرها، لكن يجدر القول إنه خلال القرن المنصرم جرت الكثير من الدراسات التي تؤكد على سبيل المثال أن الهنود الحمر لم يعرفوا ممارسة القرابين، وخاصة البشرية منها، مثلما كان شائعاً عنهم (م).

Twitter: @ketab_n

المذبح والتراتيل المسرحية في المرحلة الدنيا تدريجياً لتصل إلى مرحلة القربان في الحضارات الأعلى، وفيها يفترض بالعباد أن يزودا القدماء أنفسهم بالطعام والشراب ومتع الحياة. وقد بلغت هذه المرحلة أوج تطورها في المكسيك، خاصة في قبائل ناهو أو الأزتيك، حيث كان يتم تقديم البشر كقرابين. وبشكل عام، بين الهنود الحمر لم تكن القرابين فقط ما يقدم إلى الهيكل بل كذلك الطعام والشراب الذي يستخدمونه. وهكذا نرى أن المجموعة الأولى من الأشياء المصممة للاستهلاك تم تخصيصها للآلهة. وهناك في قارة أمريكا العديد من الأمثلة عن هذه الأديان الوثنية، والتي أثرت بشكل ما في المعتقدات وفي العبادات المشتقة من الدين الذي له أصول مسيحية.

في التاريخ المبكر لعلاقة الرجال البيض مع قبيلة سينيكا في نيويورك وبنسلفانيا، كان لدى القبيلة شامان محترم يدعى «البحيرة الجميلة»، كما تُرجم اسمه إلى الإنجليزية. كان لدى هذا الشامان ابن أخ أخذه الإسبان إلى أوروبا وعلموه ليكون قساً. وعندما عاد ابن الأخ إلى أمريكا قص على عمه الكثير من قصص الكتاب المقدّس، إلا انه سرعان ما عاد إلى وثنيته، وقام العم بدمج بعض هذه القصص في القصص الشعبية لقبيلة سينيكا،

Twitter: @ketab_n

ومن خلال فصاحته وتأثيره الكبير كشامان نجح في تأسيس نهج جديد في قبيلة السينيكا كمذهب وعبادة. وهذه القبيلة الآن تنقسم إلى هيئتين متميزتين تعيشان معاً ضمن محمية واحدة، يشكل المسيحيون إحداهما ويشكل الوثنيون القسم الآخر، وهم يؤمنون بمذهب «البحيرة الجميلة» ويدرسونه.

قدّم السيد كاشنغ حكاية هجينة ضمن مجموعته، عنوانها «الديك والفأر» ويمكن أن نجد مثل هذه الحكايات كثيراً بين الهنود الحمر. في العديد من الحالات سنرى أن القصص المستوحاة من الكتاب المقدّسقد اندمجت مع القصص الأصلية، وبذلك قد ينقاد الغافلون للاعتقاد أن الهنود الحمر هم سلالة القبائل العبرانية الضائعة.

ج. و. بويل[1]
مدينة واشنطن
تشرين الثاني 1901

(1) جون ويسلي باول (1834–1902): مستكشف أمريكي (م).

Twitter: @ketab_n

محنة العاشقين
أو حسناء ماتساكي والريشة الحمراء

(أحداث الليلة الأولى)

في قديم الزمان عندما كانت ماتساكي[1] مهداً لطفولة الإنسان، عاشت حسناء جميلة في تلك المدينة التي دعيت «مدينة الملح»[2] نسبة لإلهة الملح التي أنشأت بحيرة بيضاء في حاضرة الأيام.

كانت الحسناء ابنة رئيس الكهنة، تزدهي جمالاً في عز والدها، الذي ملك من جلود الغزلان والأغطية أكثر مما استطاع تعليقه على شماعته، كما ازدانت أرديته بالفيروز والأصداف الثمينة من المحيط، وفاضت الأضاحي التي يتقرّب بها إلى الآلهة. أما منزله فكان الأكبر في ماتساكي، وازدانت أعمدة السلالم الطويلة في بيته بألواح مزخرفة من الخشب المحفور، والذي كما

(1) Matsaki: لم نجد أثراً واضحاً لهذه المدينة، لكن هناك بعض الإشارات لوجود مثل هذه المدينة فعلاً قبل القرن الخامس عشر وبداية الغزوات الإسبانية لأمريكا (م).

(2) SaltCity: ليس المقصود مدينة «سالت سيتي» الأمريكية المعروفة، بل بحيرة محددة تقع على بعد ستين ميلاً من مدينة زوني، وهي تعدّ حتى اليوم موقعاً مقدساً بالنسبة إلى الزونيين (م).

Twitter: @ketab_n

تعلمون، كان شأنا عظيماً، لأن أجدادنا كانوا يقطعون الخشب باستخدام «تيموش» أو سكين من الصوان، حتى إنهم حرثوا حقول الذرة باستخدام معاول خشبية مشحوذة بالحجر ومثقلة بالغرانيت، وهذا هو السبب الذي جعل جميع الشبان في المدن المحيطة يقعون في حب حسناء «مدينة الملح».

وكان هناك شاب متألق يعيش في السهول الغربية لمدينة الرياح.

لم يستطع الشاب نزع حسناء ماتساكي من تفكيره، لدرجة أنه عمل طويلاً ليجمع الهدايا التي سيقدمها لها، ولم تظفر أي فتاة من مدينته بإعجابه.

وفي صباح أحد الأيام قال لأجداده: «لقد رأيت حسناء ماتساكي فما قولكم؟».

أجابه المسنون: «حسناً فليكن».

وهكذا عند حلول الظلام كان الشاب قد أنهى صنع صرة من العباءات والقلائد ولفها في أفضل جلد غزال يملكه وأكثرها بياضاً، وعندما غابت الشمس بدأ رحلته باتجاه ماتساكي.

Twitter: @ketab_n

وفي اللحظة التي اجتمع فيها أبناء الشيخ ليدخنوا ويتحدثوا، وصل الشاب إلى منزل والد الحسناء وتسلق السلم. رفع زاوية الباب القماشي ونادى على الناس في الأسفل: «مرحباً!».

أجابه بعض من كان في الأسفل: «أهلاً!».

نادى الشاب: «أنزلوني»، مظهراً في الوقت نفسه الصرة التي يحملها من خلال كوة السقف.

نهضت والدة الحسناء وساعدت الشاب على نزول السلم، وفور دخوله دائرة الضوء الناتجة عن النار المشتعلة في الغرفة، وضع الصرة التي يحملها جانباً، ثم خاطب الجمع:

«آبائي وأمهاتي، أخواتي وأصدقائي، كيف كانت أيامكم؟» قالها بحذر شديد وكأنه يخاطب مجلساً.

أجاب الجميع: «نحن سعداءّ نحن سعداء!». ثم قالوا: «تفضل بالجلوس، اجلس على هذا المقعد»، وكانوا قد وضعوه من أجله في ضوء النار.

Twitter: @ketab_n

قال الشيخ وهو يدخن سيجاره في الطرف الآخر من الموقد: «يا ابنتي عندما يدخل غريب منزل غريب آخر على الفتاة أن تقدم له الطعام المطبوخ».

وهكذا قامت الفتاة بإحضار لفائف «الهيوي» الطازجة – أو خبز دقيق الذرة الرقيق– من الوعاء الكبير في الزاوية، ووضعتها في طبق أمام الشاب حيث يمكن للضوء أن ينيرها.

قالت الفتاة: «تفضل طعامك»، فأجابها الشاب: «شكراً». وجلس مستقيماً تماماً واضعاً يده اليسرى في محاذاة صدره، ثم ببطء شديد أخذ لفافة من الخبز المحشو وأكل قليلاً جداً، لأنه وكما تعلمون، ليس مستحسناً أو ليس من الأدب أن تأكل كثيراً عندما تذهب لرؤية فتاة غريبة، خاصة إذا كنت تريد أن تطلب منها السماح لك بالعيش معها في المنزل نفسه.

وهكذا اكتفى الشاب بأكل القليل اليسير، وقال: «شكراً».

قال المسنون: «كل أكثر» ولكن عندما أجابهم بأنه «اكتفى»، عقبوا: «لقد شبع»، فرفعت الفتاة الطبق وأزالت الفتات.

وبعد مدة قصيرة أردف الشيخ: «حسناً، عندما يدخل غريب منزل غريب آخر فذلك لغرض ما».

Twitter: @ketab_n

فقال الشاب: «هذا صحيح تماماً». وراح ينتظر.

ثم أضاف الشيخ: «إذاً ما الذي فكرت فيه حتى دعاك للقدوم إلينا؟»

أجاب الشاب: «لقد سمعت عن ابنتك ورأيتها، فغلبتني الأفكار حولها، ودفعتني للحضور إليكم».

عندها نهض الراشدون من أبناء الشيخ، الذين قدموا للتدخين والمسامرة، وقالوا لبعضهم: «ألم يحن الوقت للذهاب إلى منازلنا؟»، ثم صافحوا الشاب الوافد وذهبوا إلى منازل أمهات زوجاتهم.

بعد ذهابهم، التفت الشيخ نحو ابنته الجالسة إلى جانب الجدار تحدق في الخرزات في أطراف حزامها، وقال: «اسمعي يا ابنتي! لقد سمعت ما قاله الشاب للتو، فما رأيك؟».

قالت الفتاة: «لا أدري، ولكن ما الذي أستطيع قوله غير فليكن، إذا كانت هذه مشيئة المسنين؟».

أجاب الشيخ: «كما ترغبين»، ثم لفّ سيجارة ودخن مع الشاب، فلما انتهى وألقى سيجارته بعيداً خاطب الأم: «أيتها الأم الكبيرة، ألم يحن وقت النوم بعد؟».

Twitter: @ketab_n

وبينما كان الكهلان نائمين في الزاوية، قالت الفتاة للشاب بصوت منخفض: «لقد قلت فليكن»، ولكني لم آخذ الصرة التي أحضرتها ولم أقل شكراً، فإذا كنت تحبني بصدق فيجب أن تثبت لي ذلك، عليك الذهاب إلى حقل الذرة الذي أملكه، بين أراضي كبير الكهنة على جانب النهر، وأن تحصد كل الذرة في صباح واحد، وإذا استطعت القيام بذلك، عندها سأعلم أنك تحبني وسأقبل هداياك وسنعيش سعيدين معاً».

قال الشاب: «حسناً جداً، أنا مستعد».

ثم أشعلت الفتاة حزمة من شظايا خشب الأرز وأرشدته إلى غرفة تحتوي سريراً من الأقمشة والأغطية الناعمة، ثم وضعت معول والدها بجانب الباب وتمنت للشاب نوماً هنيئاً.

وعندما ذهبت الفتاة نظر الشاب إلى المعول وفكر: «إذا كان هذا كل ما تريده فسترى في الصباح أنني رجل حقيقي».

ومع بزوغ النهار على المدينة الشرقية نهض الشاب ووضع المعول الخشبي على كتفه وأسرع إلى حقول الذرة.

Twitter: @ketab_n

عند شروق الشمس استيقظت الفتاة ونظرت من سطح منزلها وفكرت: «حسناً، إنه يقوم بعمل جيد، لكنني وأطفالي سنرى كيف سيكون حاله بعد قليل، فأنا أشك في أنه يحبني بالقدر الذي يظنه».

وهكذا ذهبت إلى غرفة مغلقة، يوجد في زاويتها إبريق ماء جميل الزخرفة ولامع كأنه جديد. كان يشبه أي إبريق ماء آخر ولكنه لم يكن كذلك. لقد كان رائعاً! رائعاً، لأنه كان مغطى بغطاء حجري يخفي تحته الكثير من الذباب والناموس والبعوض. رفعت الحسناء الغطاء وبدأت تتحدث إلى الحشرات الصغيرة كما لو كانت تصلي.

قالت الفتاة: «والآن يا أطفالي الأعزاء، ستطيرون جميعاً اليوم إلى حقول الذرة قرب النهر وهناك ستجدون شاباً يقوم بالحصاد، وهو يجهد في القيام بعمله حتى إنه خلع قميصه كأنه في سباق. اذهبوا إليه فهو ضالتكم».

قال الذباب: «تسو - نو - نو - نو» وغنى البعوض والناموس: «تسي- ني - ني - ني» وهذا يعني: «أجل» كما تعلمون!

Twitter: @ketab_n

ثم أضافت الفتاة: «ثم، عندما تعثرون عليه اقرصوه في كل بقعة من جسده وتغذوا على دمه بحرية ولا توفروا إبطيه ولا رقبته ولا حتى جفني عينيه واملأوا أذنيه بالطنين».

ومجدداً قال الذباب: «تسي – نو – نو – نو» وقال البعوض والناموس: «تسي – ني – ني – ني» ثم طاروا جميعاً كغيمة من الرمال في صباح عاصف.

«دم!»، صاح الشاب عجباً ومسح قطرات العرق المتدحرجة على وجهه وقال: «يبدو أن الآلهة غاضبة!» ثم أسقط معوله وفرك ذقنه بالرمل وصفع خديه. ثم صرخ «آه، ما الذي حدث – بحق أم القمر ما قصة هذه الوحوش الصغيرة ؟»، ثمّ، تقلّب على الأرض كعنكبوت ضعيف متعب على رماد حار، ولكن دون جدوى. واستمر الذباب والناموس والبعوض بالغناء «هو –ننننن» و «تسي – ني ني» حول أذنيه حتى جمع ملاءته وفطوره وركض هارباً إلى بيت أجداده.

في مدينة «تيندو» أو مدينة الخيام إلى الشمال، ضحك شاب آخر عندما سمع كيف خاف العاشق، وهزأ منه وقال: «ليس برجل من يتخلى عن حسناء ماتساكي بسبب الذباب والبعوض». وفي صباح اليوم التالي خاطب هو أيضاً شيوخ

Twitter: @ketab_n

عشيرته قائلاً: «يا لحماقة هذا الشاب الصغير». سأزور حسناء ماتساكي وأبرهن للقوم في «بينوا» ما الذي يستطيع رجل من «هامباسوان» فعله، أتشجعونني!» وما إن قال الشيوخ: «حسناً فليكن»، حتى مضى كما مضى الشاب الآخر من قبله، ولكنه لم يكن أفضل حالاً.

بعد مدة قصيرة سمع شاب آخر يعيش في مدينة النهر بما حدث وضحك بشدة كما فعل الشاب من مدينة الخيام ونعت الشابين الآخرين بالحمق وقال: «ليس من عادة الفتيات طلب الكثير عندما تكون صرّة الهدايا التي يحملها الشاب كبيرة»، وكان من الشبان الموسرين، فجهّز صرة كبيرة من الهدايا بالكاد استطاع حملها، ولكنها لم تجده نفعاً.

فهو أيضاً هرب بعيداً من الذباب والناموس والبعوض.

مرت أيام عديدة قبل أن يحاول أحد مجدداً التقدم لخطبة حسناء ماتساكي. لم يكن أحد يعلم أنها «كائن متجاوز»[1]، وعلى الرغم من هذه الحقيقة، وفشل الجميع بسبب الذباب والناموس الأسود والبعوض فإنهم قنعوا بالعار الذي أصابهم أكثر من رضا رجل جائع بالطعام.

(1) المقصود هنا على الأرجح أنها ذات صلة بعالم الجن والأرواح كما تؤكد قدرتها على مخاطبة الذباب والبعوض (م).

Twitter: @ketab_n

كانوا يقولون لبعضهم بعض: «هذه قناعة سقيمة»، ولكن الخوف الذي عرفوه دفعهم للانتظار ليروا ما الذي سيفعله الآخرون.

الآن، وفي بيت النمل والذي كان يسمى هالوناوان[1] عاش شاب وسيم، ولكنه فقير، على الرغم من أنه ابن شيخ القبيلة الكاهن. وبعد عدة أيام من التفكير قال لجدته، التي كانت مسنة وماكرة: «أيتها الجدة؟».

قالت الجدة: «ما الذي تريده يا صغيري؟»، إذ كانت لطيفة جداً مع حفيدها، مثل جميع الجدات في أيامنا.

أجاب الشاب: «لقد رأيت حسناء ماتساكي، ويكاد يقتلني شوقي لها، فهي تغدو أكثر جمالاً وحكمة يوماً بعد يوم، وإنني لا أستغرب المهمات الصعبة التي تمتحن بها الذين يقعون في حبها، فهي لا تفكر بالهدايا التي يجلبونها معهم بل تهتم بشخصياتهم ذاتها. والآن لقد قويت عزيمتي بعزم رجولتي وتغلب قلبي على ضعفي وأود الذهاب والتقدم لخطبة الحسناء».

(1) كانت مدينة زوني القديمة تسمى هالوناوان، أو بيت النمل، وآثارها المدفونة تحت الرمال تقع على بعد رمية حجر مقابل المدينة الحديثة. ومنذ زمن بعيد وقبل أن تهجر هالوناوان كانت نواة البنية الحالية قد بدأت تتبلور حول الساحات الرئيسية. وكانت عندها ولا تزال، في أغاني وطقوس زينوس، هالونا- اتيوانا أو «بيت النمل وسط العالم» وكان الحديث عنها غالباً ما يرتبط بالمدينة القديمة على أنها ببساطة «بيت النمل» (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

قالت الجدة: «يا حفيدي المسكين، إنها رائعة وجميلة وحكيمة. ولكنها لا تفكر بالرجال إلا كإخوة وأصدقاء وأنا أعتقد أنها من يرسل الذباب والناموس والبعوض بغرض إبعاد هؤلاء الشبان، وهي ليست إلا كائنات متنكرة. كن حذراً يا حفيدي، فأنت فقط ستصم نفسك بالعار مثل الرجل المبتل تماماً خلال عاصفة مطرية! ما كنت لأذهب لو كنت مكانك يا حفيدي المسكين، ما كنت لأذهب». وهي تهز رأسها وتعض شفتيها حتى كادت ذقنها تلمس ذروة أنفها.

قال الشاب: «هذا صحيح يا جدتي، لكن يجب أن أذهب. فلماذا يتوجب عليّ أن أحيا وهواء الشوق يضنيني؟ ربما تتحسن أفكارها نحوي».

قالت الجدة: «حسناً ولكنها ستذيقك العار، كل العار. حسناً إذن، اذهب إلى الجبال واقشط اللحاء المر عن الجذور المتفرعة واجعل منها مخروطاً صغيراً من اللحاء وخبئه في حزامك، وعندما ترسلك الحسناء إلى حقول الذرة، اعمل بجد حتى شروق الشمس، وعندها سيكون جسدك قد غلّف بقطرات العرق الحلوة، افرك كل جزء من جسدك بصمغ اللحاء، وسيدفع الملح المر ذوات «الأجنحة الرنانة» و«الأنوف الطويلة» و«الظهور الزرقاء» للطيران بعيداً.

Twitter: @ketab_n

قال الشاب: «حسناً يا جدتي العزيزة، سأجرب ما قلته وشكراً لك». فقد كان مؤدباً ولطيفاً بقدر ما كانت جدته عارفة وحكيمة. وفي اليوم نفسه ذهب إلى الجبال وجمع بعض الجذور. وبحلول المساء أخذ حزمة صغيرة واتبع طريق النهر على ضفة نهر ماتساكي. وعندما تسلق السلم و نادى من خلال الباب القماشي: «مرحباً، أمن أحد هنا؟» لم يجبه أحد على الفور، فالكبار كانوا غاضبين من سلوك ابنتهم التي قامت بإبعاد الكثير من الشبان الجيدين. ولكنه عندما نادى ثانية أجابوا:

«أهلاً ومرحباً، نحن بالداخل، تفضل بالدخول».

نزل السلم دون مساعدة من أحد، ولم يبد أي اعتراض، إذ غلبه الشعور بفقره، بسبب حزمته الصغيرة من الهدايا. وما إن دخل دائرة الضوء حول النار حتى حيّا الموجودين بلباقة واحترام، واتخذ المقعد الذي قدم له شاكراً.

الآن، تعلمون أن الشيخ كان غاضباً من ابنته، ولهذا لم يأمرها بوضع الطعام المطبوخ أمام الشاب بل التفت نحو زوجته قائلاً:

Twitter: @ketab_n

«أيتها الكبيرة...» ولكن قبل أن يكمل نهضت الحسناء وأحضرت لحماً غنياً من صيد اليوم مع رقائق من الخبز وحساء اللحم ووضعتها أمام الشاب، وجلست في مواجهته وقالت: «كل واشرب!» عندها قام الشاب بأخذ قطعة من الخبز وقسمها قطعتين وقدم للفتاة القطعة الأكبر، فقبلتها خجلة.

رفع الشيخ حاجبيه وجفنيه العلويين تعجباً، ونظر إلى زوجته وبصق في الموقد ثم سحب نفساً عميقاً من سيجارته، وشارك الفتاة دعوتها للشاب: «أجل تفضل وكل جيداً».

وسرعان ما قال الشاب: «شكراً» فأجابته الفتاة بسرعة: «كل أكثر»، ثم قالت: «لقد اكتفى».

وبعد أن أزالت الفتاة الفتات جلست إلى جانب والدتها، وقام الأب بلفّ سيجارة للشاب وتحدّث معه فترة أطول من الشبان الذين سبقوه.

وبعد أن تمدد الكهلان في الزاوية وبدأوا في الشخير استدارت الحسناء إلى الشاب وقالت: «لدي حقل ذرة في أراضي كبير الكهنة، بقرب النهر، وإذا كنت تحبني حقاً فإنني

Twitter: @ketab_n

أريدك أن تقوم بحرث هذا الحقل في صباح واحد. وإذا قمت بذلك فسنحيا معاً بسعادة يوماً بعد يوم».

أجاب الشاب الذي كان يبتسم أثناء حديثها: «حسناً»، وبينما نظرت الحسناء إليه وهو يجلس في زاوية النار الخافتة والابتسامة تعلو وجهه فكرت: «أيعقل هذا! أتمنى أن يكون قلبه قوياً على الرغم من أن الصرة التي يحملها ليست ثقيلة ولا كبيرة».

قالت الفتاة: «تعال معي أيها الشاب، وسأريك أين ستنتظر حتى الصباح، فمبكراً ستأخذ معول والدي من جانب الباب وستذهب إلى حقل الذرة قبل أن تفرّ أطياف الليل من جبل الرعد بفترة طويلة» ثم تمنت الفتاة له نوماً هانئاً ونامت في مكانها المعتاد.

وبينما كان الجميع نياماً، تسلق الشاب كوة السقف في ضوء النجوم سائلاً آلهة الغابات والمياه أن تمد يديه بالقوة وتجعل العشب الذي يحمله نافعاً و تباركه بأنوارها، وألقى في رياح الليل حفنة من بذور الأرض ومياه العالم التي فشل الحكماء في صقلها خلال رحلتهم في الحياة. ونام حتى أصبحت سماء أرض النهار صفراء وتحولت الظلال في أرض الليل إلى اللون الرمادي، وعندها وضع المعول على كتفه وذهب إلى حقل

Twitter: @ketab_n

الذرة، لم تكن مهمته بهذه الصعوبة، فالآخرون الذين سبقوه قد حرثوا الكثير. وبدأ في حراثة الباقي يميناً ويساراً بكل ما أوتي من قوة وسرعة، حتى لانت التربة الصلبة وتبددت الأرض أمام ضرباته كأنما بفعل أقوى السناجب الأمريكية والكائنات الأخرى التي تحفر في الأرض.

عندما أشرقت الشمس نظرت الحسناء ورأت أن مهمته نصف منتهية، إلا أنها انتظرت، وما إن عمّ دفء الشمس واستمر الشاب بعمله حتى امتلأ جسده بالعرق واضطر إلى أن يتخلص من دثاره وحزامه وطماقيه وزوجي حذائه. ثم توقف ونظر حوله ورأى في طرف الحقل شجيرات صفراء طويلة فركض إلى أكثرها كثافة وفرك كل جزء من جسده باللحاء الذي جلبه من جذور الأشجار، بما فيه شعر رأسه وأطراف أذنيه وأنفه. ثمّ عاد إلى العمل كأنه أنه كان يستريح وتساءل لماذا لم يظهر الذباب والبعوض والناموس لتزعجه كما فعلت بالآخرين. ومع ذلك كانت الفتاة لا تزال تتريث، ولكنها في النهاية حزمت أمرها وذهبت ببطء إلى الغرفة حيث تضع الإبريق.

قالت الفتاة: «هذا لا يصدق، إنني فعلاً آمل أو لعلي أهتم لهذا، سيكون من الرائع حقاً لو أن هذا الشاب يحبني للدرجة

Twitter: @ketab_n

التي تدفعه للاستمرار قدماً أمام اختبار كهذا»، ومع ذلك قامت بسحب غطاء الإبريق وطلبت من أطفالها الغريبين أن يذيقوه الويل كما فعلوا بالشبان الذين سبقوه.

أسرعت الحشرات لتغذي نفسها «بماء الحياة» كما كان أجدادنا يطلقون على الدم. انطلقت ثانية بسرعة وطنت على طول حقول الذرة بأعداد تراءت كعاصفة رملية تدفعها الرياح، وبدأت تطن حول أذني الشاب فور وصلها إليه. دومت الضجة الشديدة حول الشاب الذي استمر بالعمل طول الوقت، حتى ظن أن الحشرات قد قرصته فعلاً. ولكن ذلك كان في خياله فقط، لأن الحشرة الأولى التي قامت بقرصه، رقصت في الهواء بقرف وأخبرت زميلاتها «شو و و م!» و «يس–آ!» مما يعني أنها أكلت شيئاً قذراً له طعم كريه كرائحة القذارة. ولهذا لم تجرؤ حشرة أخرى على قرصه، رغم أنها استمرت بصب أغانيهم في أذنيه، وحتى يومنا هذا فإن الحشرات تختار بعناية أولئك الذين ستقوم بقرصهم، وترقص لوقت طويل في الهواء قبل أن تفعل ذلك.

ثم كررت ناموسة المحاولة ولهثت قائلة: «ويه!» مما يعني أنها شعرت بالغثيان وعانت من صداع فظيع، جعلها تدور وتدور في الهواء، ولهذا السبب فإن الناموس يعض بسرعة شديدة خوفاً من أن يشعر بالغثيان، ويدور كثيراً في الهواء قبل أن يفعل ذلك.

Twitter: @ketab_n

أخيراً، قامت بعوضة بالمحاولة، وبينما كانت تتشبث بالشاب بعناد ملح، وكما تعرفون فالبعوض يتشبث أكثر من جميع هذه الوحوش الصغيرة، تغير شكل قوائمها الخلفية، ولكنها اضطرت في النهاية لإفلاته، مثل الأخريات، وطارت فوراً وهي تصرخ «يا كوتشي!» مما يعني أن شيئاً مراً قد أحرق خطمها. ولهذه الأسباب فإننا نرى الآن أن البعوض لديه دائماً قوائم خلفية منحنية، توالي رفعها وخفضها أثناء قيامها بالقرص كأنها تقف على شيء حار، وكذلك تستمر بالغناء والشم بحذر شديد قبل أن تغرز إبرتها في أجسادنا وثم تطير فوراً كما ستلاحظون، فور انتهائها.

عندما سمعت بقية الناموس والبعوض كلمات شقيقاتها الأكبر سناً، لم تجرؤ، مثل الذباب، على قرص العاشق الشاب. وطارت جميعها بعيداً واستقرت على الشجيرات الصفراء، حيث عقدت مجلساً، وقررت أن تذهب وتعثر على بعض كلاب المروج لتقوم بقرصها. ولهذا غالباً ما ستجدون الذباب والناموس والبعوض تحوم حول جحور كلاب المروج في فصل الصيف وفي مواسم الذرة.

Twitter: @ketab_n

وهكذا، تنفس الشاب الصعداء وحرث بقوة لينهي مهمته قبل حلول الظهيرة، ولما نظرت الحسناء ورأته يواصل العمل في الحقل، قالت لنفسها: «حسناً، يبدو أنه يحبني حقاً، فهو لا يزال هناك! وإذن لعله يكون هو، فبعد فترة قصيرة سيتركونه وشأنه». وقامت بوضع لحم الغزال في وعاء الطبخ بعجلة، وحضرّت خبزاً طازجاً وخبزاً محلى، وفكرت: «لعله يكون هو وعندها سيكون الطعام جاهزاً من أجله».

وأسفاه، فالآن أنتم لا تعرفون أن هذه الحسناء الجميلة والطيبة لديها شقيقة، أجل شقيقة جميلة مثلها، ولكنها سيئة وذات قلبين، وكما تعرفون فإنه عندما يكون الناس بقلبين فهم «إما سحرة أو مشعوذون»، ولديهم لسانان و زوجان من الأفكار. كانت الشقيقة الكبرى لحسناء ماتساكي للأسف من هذه النوعية من البشر!

عندما قاربت الشمس على بلوغ منتصف السماء، غمرت الشكوك قلب الحسناء، فنظرت مرة أخرى، لكنها وجدت الشاب هناك يكمل عمله في ما تبقى من حقل الذرة.

فكرت الفتاة: «إنه يحبني حقاً»، وهكذا أسرعت وارتدت قلائدها وأساورها المصنوعة من الصدف، وأقراطها الطويلة

Twitter: @ketab_n

كطول أصابعكم والمصنوعة من الفيروز ... ورداءها القطني المذيل بأطراف كفراشات الصيف وأزهار الخريف. وأخذت وعاءً جديداً من الرف في الزاوية والعديد من الصواني الملونة والتي قامت بصنعها بنفسها وملأت إحداها بحساء اللحم والأخرى بخبز الذرة والخبز الحلو ووضعت الوعاء الذي يحتوي حساء اللحم على رأسها وحملت صينية خبز الذرة في يدها واتجهت نحو حقل الذرة على ضفة النهر لتلتقي حبيبها وتشكره.

تشعر الساحرات دائماً بالغيرة من سعادة الآخرين ومن حظهم الجيد. ولهذا شعرت شقيقة الحسناء الجميلة بالغيرة من شقيقتها عندما رأت الابتسامة على وجهها الهانئ وهي تهمّ بالذهاب إلى النهر.

قالت الأخت ذات القلبين: «هاها - تيميثلوكا ثلموكا! وأنـاني!» وكانت تلك كلمات المواجهة والكراهية التي استخدمها الشياطين والمشعوذون منذ قديم الزمان، والتي لا يعرف أحد في هذه الأيام معناها، ما عدا الكلمة الأخيرة، والتي تعني لسوء الأسف: «انتظروا قليلاً، سأريكم!». وأسرعت ترتدي ثياباً تشبه ثياب أختها، حتى إنها حملت وعاءً وصينية مثلها تماماً، ولأن جمالها يماثل جمال أختها فلم يكن هناك أحد

Twitter: @ketab_n

يستطيع أن يميز إحداهما من الأخرى. ثم أحاطت نفسها بدائرة من الغبار السحري، جعلتها تتراءى في مكان آخر غير الذي هي فيه، من دون أن يستطيع أحد رؤيتها إلا بإرادتها.

وما إن استقرت الشمس في كبد السماء حتى كان الشاب قد أنهى عمله في الحقل وأسرع إلى النهر ليغتسل، وقبل أن ينتهي رأى الحسناء قادمة من أعلى النهر والوعاء على رأسها والصينية في يدها، فسارع بالعودة لارتداء ملابسه والجلوس بانتظارها. وقال: «ها قد أتت، أرجو أن تكون سعيدة» وعندما نظر ثانية رأى حسناوين متشابهتين فقال بسرعة: «تعاليا».

«مرحباً» قالت الفتاتان كأن لهما صوت واحد، ولكن عندما وضعت كلتاهما الطعام نفسه أمام الشاب حتى بدأ المسكين ينقّل بحيرة نظره بينهما وسأل: «والآن من أيهما عليّ أن آكل؟».

عندما بوغتت الحسناء بشقيقتها، تضرجت وجنتاها غضباً، إذ عرفت بخططها الشريرة، فقالت: «أيتها الأخت الحمقاء، لماذا أتيت؟»، فما كان من شقيقتها إلا أن أجابتها: «أيتها الأخت الحمقاء، لماذا أتيت؟».

Twitter: @ketab_n

قالت الحسناء وقد أوشكت على البكاء: «عودي من حيث أتيت، فهو سيكون لي».

فقالت الأخرى وهي تتظاهر بالبكاء: «عودي من حيث أتيت، فهو سيكون لي».

شتمت واحدتهما الأخرى أربع مرات ثم بدأتا بعراك حقيقي، وكما تتعارك النساء بشد الشعور والخرمشة، فعلت الشقيقتان حتى تدحرجتا معاً على الرمل.

وراح الشاب المسكين يحاول التفريق بينهما، ولكنه لم يستطيع تمييز إحداهما عن الأخرى وباعتقاده أن السيئة بينهما ستعرف كيف تقاتل أفضل من زوجته الحسناء الجميلة أمسك فجأة بمعوله المثقل بالحجارة وضرب صاحبة اليد العليا في القتال على رأسها بعنف مرة إثر أخرى، حتى ارتخت قبضتها وسقطت وهي تتمتم: «وأسفاه، أهكذا ينتهي الأمر!»، ثم أغمضت عينيها وغابت عن الوعي.

وعندما نظر الشاب لم ير أمامه سوى الحسناء المحتضرة، وغراباً أسود قبيحاً يحلق في الهواء فوقه وهو يضحك: «كاوكاو، كاوكاو، كاكاو!»، ثم يطير بعيداً إلى كهفه في جبل الرعد.

Twitter: @ketab_n

عندئذ أدرك الشاب ما حدث، فصرخ عالياً ولطم على صدره ثم أسرع نحو النهر وأحضر ماءً وغسل الدماء عن صدغ الحسناء، ولكن بدون جدوى! ابتسمت الحسناء له وحركت شفتيها قليلاً ثم استحالت جامدة باردة.

بينما اتجهت الشمس نحو المغيب، بكى الشاب وحيداً فوق جثة زوجته الجميلة وقد أطبق الألم على كلّ جوارحه. أخذها بين ذراعيه ودنا من وجهها وخاطبها ثانية: «وأسفاه، وأسفاه! يا زوجتي الجميلة، أحبك، أحبك، وأسفاه، وأسفاه يا زوجتي الجميلة يا زوجتي الجميلة!».

عندما عاد أشقاء ماتساكي من حقولهم في المساء افتقدوا شقيقتهم الحسناء، ورأوا الشاب وحيداً منحنياً على شيء في حقل القائد الكاهن قرب النهر، فأخبروا الوالد الشيخ إلا أنه هزّ رأسه وقال: «لم تسر الأمور بشكل جيد بالنسبة لطفلتي الصغيرة، فهكذا كانت مشيئة الآلهة». وابتسم، فقلب القائد الكاهن لا يبكي قطّ، ثم طلب منهم أن يذهبوا ويحضروها إلى ساحة ماتساكي ويدفنوها أمام معبد الشمس. لقد عرف ما الذي حدث.

Twitter: @ketab_n

وهكذا نفذوا رغبة والدهم. وعند الغروب أخذوا الحسناء الجميلة بعيداً ثم دثّروها بدثار، ودفنوها قرب معبد الشمس.

تبعهم الشاب المسكين الغارق في الحزن. وعندما سوي قبرها جلس بجوار سريرها الترابي ولم يتركها، حتى بعد غربت الشمس، وظلّ يحادثها ويناجيها: «وأسفاه وأسفاه يا زوجتي الجميلة، أحبك، أحبك، مع أنني لم أستطع أن أميزك وقتلتك. يا زوجتي الجميلة!».

وهنا صاح الديك. «سوني سوناتشي» (للحكاية بقية)، وسأخبركم إياها في ليلة أخرى.

Twitter: @ketab_n

«سوني سوناتشي»
(أحداث الليلة الثانية)

«سوني سوناتشي» (للحكاية بقية) وها نحن سنكملها؛ ولكني لن أخبركم فحسب عن حسناء ماتساكي التي قتلها الشاب العاشق عندما لم يستطيع التمييز بينها وبين شقيقتها، بل سأخبركم في هذه الجلسة عن «الريشة الحمراء» أو الزوجة من ماتساكي.

حتى بعد أن غربت الشمس واكتنف السواد الهضاب والبيوت، بقي الشاب جاثماً عند الضريح دافناً رأسه بين يده. ولم يعد أحد من القوم يحاول انتزاع أفكاره الحزينة منه[1]، بل تركوه وشأنه، كمن أضاع عقله، ولن يستعيده إلا بالنواح: «وأسفاه، وأسفاه يا زوجتي الجميلة؛ أحبك، أحبك حتى ولو لم أستطع تمييزك عن الأخرى وقتلتك! وأسفاه يا زوجتي الجميلة!».

ولكن عندما استقرّ القمر فوق التلال الغربية وعبر الشهاب الكبير الناصع كبياض الثلج عرض السماء وانقضى نصف الليل،

(1) أي مؤاساته. بعض التعبيرات البسيطة تركناها كما هي لأنها تعبر عن النفس الحكائي الشفاهي الشعبي (م).

Twitter: @ketab_n

رأى العاشق الحزين ضوءاً يومض في تربة القبر كضوء جمرة تنطفئ بين الرماد. وكلما أمعن النظر فيها تحولت أفكاره الحزينة إلى أفكار فرحة، وبدأ الضوء يكبر ويضيء حتى أحرق رمال القبر القاتمة كضوء الشمس حين يخترق العتمة. ورأى عروسه مستلقية في الأسفل. قامت بتمزيق كفنها ونهضت من قبرها ونظرت إلى العاشق المتلهف ببرود وحزن شديدين حولا أفكاره الفرحة إلى سواد وقالت له بحزن: «وأسفاه يا حبيبي، يا زوجي الذي لم يعرفني من الأخرى، أنت لم تحبني ولهذا قتلتني، بالرغم من أني قد رغبت في الحب، لم تحبني ولهذا قتلتني!»

مرة أخرى دفن الشاب وجهه بين يديه وهز رأسه بحزن ومثل من أضاع عقله، راح يندب وينوح قائلاً: «وأسفاه، وأسفاه يا زوجتي الجميلة؛ أحبك، أحبك ولكني لم أستطع تمييزك عن الأخرى وقتلتك! وأسفاه يا عروسي الجميلة، يا عروسي الجميلة!»

وأخيراً عندما سطعت النجمة العظيمة في السماء، تحدثت الحسناء الميتة بنعومة إلى العاشق المكلوم، لكن جاء صوتها حزيناً وغريباً: «أيها الشاب لا تجزع، اذهب إلى منزل آبائك، ألم تكن تعلم أنني كائن مختلف؟ عندما يؤذن لسماء اليوم بالولادة فتغدو

Twitter: @ketab_n

صفراء، وتخرج المنازل من الظلال، سيخبو النور الذي تراني من خلاله، حتى يتلاشى في ضوء النهار، كاللهيب الشاحب المتبقي من مسارات النور الحمراء قبل اكتمالها في حزم الضوء الشمسية»، وأصبح صوتها أكثر حزناً وهي تقول: «تذكر أنني طيف فحسب، وأسفاه يا حبيبي، يا زوجي الذي لم يعرفني من الأخرى، لم تحبني ولهذا قتلتني، بالرغم من أني قد رغبت في الحب، لم تحبني ولهذا قتلتني!».

لكن الشاب لم يبارح مكانه، حتى ظهر ضوء النهار الشاحب ولم يعد بمقدوره رؤية أي شيء، وعاد رمل القبر ليبدو قاتماً كما كان من قبل. عندئذ نهض ومضى مطرق الرأس حزيناً، ولم يكلّم أحداً طوال اليوم، كان ينظر إلى موطئ قدميه ويهز رأسه بحزن كمن تاهت أفكاره. وعندما حل الظلام واكتنف السواد المنازل والهضاب، سعى مرة أخرى إلى القبر وجلس بجواره، وأطرق رأسه وأخذ يتمتم: «وأسفاه، وأسفاه يا زوجتي الجميلة. أحبك، ولكني لم أعرفك وقتلتك! وأسفاه يا زوجتي الجميلة!»

وفي منتصف الليل أنار ضوء أشدّ لمعاناً تربة القبر فنهض طيف الحسناء واستقام في سرير القبر. بادرته بالعتاب وطلبت منه الذهاب قائلة: «تذكر أنني طيف فقط. وأسفاه يا حبيبي، يا

Twitter: @ketab_n

زوجي الذي لم يعرفني من الأخرى، لم تحبني ولهذا قتلتني، بالرغم من أني قد رغبت في الحب، لم تحبني ولهذا قتلتني!».

لكنه غادر في الصباح ليعود ثانية عند حلول الظلام.

وعندما ومض الضوء في تلك الليلة، بدت الحسناء أكثر جمالاً من قبل، وخرجت من قبرها وجلست إلى جانب عاشقها. ومرة أخرى ألحت عليه بالعودة إلى أهله، لكن إصراره على البقاء دفعها للقول: «إني أفضل حالاً الآن وعلي القيام برحلة طويلة. وكخفة الضوء والرياح سيكون موطئ قدمي، وكطول النهار سيمسي شكلي مخفياً. فاعلم أن الأرواح يمكن رؤيتها في الظلام فقط! لأنك وللأسف يا حبيبي، يا زوجي الذي لم يعرفني من الأخرى، لم تحبني ولهذا قتلتني، بالرغم من أني قد رغبت في الحب، لم تحبني ولهذا قتلتني!».

عندئذ توقف الشاب عن رثاء عروسه الجميلة ونظر إليها بحزن وقال: «أنا أحبك يا زوجتي الجميلة! أحبك حتى لو كنت شبحاً، دعيني أذهب معك! فلا يهمني كم ستطول الرحلة، ولا كم سيكون الطريق شاقاً. فإذا استطعت أن أراك ولو في الليل فقط فسأكون سعيداً وسأتوقف عن رثائك. لقد فعلت ذلك لأني أحبك ولأني أردت إنقاذك، ولكن وأسفاه يا زوجتي الجميلة! لم أعرفك ولهذا قتلتك!».

Twitter: @ketab_n

قالت الحسناء: «للأسف يا حبيبي، كم أحببتك، ولكني طيف الآن بينما أنت حي، ولكن إذا كنت تحبني حقاً فاذهب عندما أتركك، وجهّز الكثير من عيدان الصلاة[1] واختر ريشة ناعمة خفيفة واصبغها باللون الأحمر، ثم جهّز طعاماً يكفي لأربعة أيام، واجلب معك الكثير من طعام الصلاة وتعال إلي عند منتصف الليل واجلس إلى جوار قبري وعندما تنار الأرض من جهة الشرق اربط فوق جبيني الريشة الخفيفة المصبوغة، وفي الصباح سأختفي عن ناظريك. فاتبع الريشة فقط إلى أن يحل المساء وعندئذ ستراني وستجلس إلى جانبي».

وهكذا، وعند شروق الشمس ذهب الشاب وجمع الريش من طيور الصيف وقطع العديد من عيدان الصلاة ولفها بالقطن كهدايا للأسلاف. وعثر على ريشة ملساء جميلة سقطت من نسر فصبغها باللون الحمر وربطها بخيط من القطن حتى يتمكن من تثبيتها على جبين طيف الحسناء. ومع حلول الظلام أخذ طعاماً مصنوعاً من الذرة المجففة والخبز الحلو الطازج وذهب مرة أخرى وجلس بجوار القبر.

(1) البخور (م).

Twitter: @ketab_n

وعند منتصف الليل شع الضوء للمرة الرابعة من خلال تربة القبر، وخرجت الحسناء ووقفت إلى جواره. لم تعد تبدو حزينة كما في السابق بل على العكس تألقت سعادة كسعادة من يعود إلى وطنه بعد زمن طويل. ولم يعد الشاب حزيناً متوحد الأفكار كمن فقد عقله، فجلسا معاً وتحدثا عن رحلتهما حتى تحول لون النهار إلى الأصفر وأصبحت الظلال السوداء رمادية وخرجت المنازل والهضاب من الظلمة.

قال طيف الحسناء للشاب: «مرة أخرى أقول لك أن تعود أدراجك، ولكني أعرف لماذا تريد أن تأتي معي وهذا أمر جيد. فقط راقبني عندما يأتي النهار، لن تستطيع رؤيتي فانظر إلى حيث تذهب الريشة واتبعها، وأنت تعرف أن عليك وضعها على جبيني».

عندئذ أخرج الشاب الريشة الحمراء من بين ريش الأضاحي وقام بربطها بلطف فوق جبين طيف الحسناء.

ما إن لاح الضوء من خلف الجبل العظيم حتى خفّ الوهج الأحمر المنبعث من تربة القبر وبحث الشاب دون جدوى عن الحسناء ولكنها كانت أمامه تماماً وعلى ارتفاع يماثل ارتفاع يد شخص واقف، تحركت الريشة الخفيفة مع نسيم الصباح.

Twitter: @ketab_n

ثم نهضت الريشة، وليس الزوجة، كريشة على رأس راقصة، وتحركت عبر الشوارع التي تقود باتجاه الغرب، فعبرت الحقول نحو النهر ثم سارت على طول النهر وفوق السهول ودائماً باتجاه أرض المساء. ظل الشاب يتبع الريشة الحمراء عن كثب، إلى أن يغلبه التعب والإنهاك فتمضي الريشة بسرعة أمامه وتتركه بعيداً، وتفقده تماماً في بعض الأحيان. وعندئذ كان يسرع قليلاً وينادي في لوعة: «يا عروسي الجميلة! يا عروسي الجميلة! أين أنت؟».

وعندها كانت الريشة وليس الزوجة تتوقف وتنتظر. وهكذا ارتحل الشاب والريشة حتى وصلا بحلول المساء إلى غابة سدر وصنوبر ذات رائحة عطرة. وعندما أخفى الليل التلال في ظلاله اختفت الريشة ولكن الشاب تابع المسير فهو يعلم أن الريشة تواصل مسيرها نحو الغرب. وفي بعض الأحيان غلبه التعب وأفقده القدرة على التفكير فركض بين الأشجار على جانب الدرب متعثراً بالجذور والأغصان الجافة. وهكذا مرة بعد أخرى نادى بلوعة: «يا عروسي الجميلة! يا عروسي الجميلة! أين أنت؟».

وأخيراً عندما انتصف الليل، رأى بسعادة، بعيداً أعلى

Twitter: @ketab_n

الهضبة، ضوءاً أحمر يزداد بريقاً كضوء جمرات نار المخيم عندما تزكيها رياح الليل. وكما النجمة التي تشرق أو تغيب بقي الضوء الأحمر في أعلى الهضبة. وركض بسرعة حتى إذا اقترب من الضوء الأحمر نظر ورأى طيف الحسناء الجميلة ولما اقترب منها قالت: «هل وصلت؟ بأي سرعة حلّ المساء؟».

كانت تبتسم وهي تتحدث وأشارت له أن يجلس بجانبها. كان متعباً جداً حتى أنه غفا وهو يتحدث إليها، ولكن تذكروا أنها طيف فلم تنم.

وما إن بزغت نجمة الصباح من أرض النهار، حتى نهضت الحسناء لتكمل رحلتها، فاستيقظ الشاب وتبعها. ولما خرجت الهضاب من ظلمة الليل، أخذ شكل الحسناء أمامه يبهت أكثر فأكثر حتى اختفت تماماً وبقيت فقط الريشة الحمراء تطفو أمامه كالريشة على رأس الراقصة. سبحت الريشة في الهواء سريعاً وبعيداً أمامه حتى دخلت سهلاً من الحمم ممتلئاً بصخور مسننة، ورغم ذلك تابع الطيف التقدم بخفة فوق الصخور كما تسقط زهور الخريف الميتة، ولكن لسوء حظ الشاب توجب عليه أن يشق طريقه بصعوبة، ومرة أخرى تركته الريشة بعيداً خلفها حتى اضطر لمناداتها بصوت عال: «يا عروسي الجميلة، انتظريني، أنا

Twitter: @ketab_n

أحبك ولن أتركك!». عندها توقفت الريشة على الطرف الآخر من الجرف وانتظرت حتى اقترب الشاب المسكين منها وكانت قدماه وساقاه جريحتين تنزفان، وقد خارت قواه تقريباً. بعدها أصبح الأثر الدرب اكثر استقامة وقادهما عبر سهول واسعة، ومع ذلك ظل الشاب يجاهد ليبقي الريشة الحمراء تحت ناظريه. وفي الليل انتظرته الحسناء وارتاحا معاً تحت أشجار السدر حتى طلوع الضوء. ومرة أخرى تلاشت في ضوء النهار وقادت الريشة الحمراء الطريق.

مر وقت طويل كان المسير فيه سهلاً، ولكن مع قرب المساء وصلا إلى حقل كبير من الصبار وعبرت الريشة فوقه بسهولة كعادتها دائماً، ولكن حذائي الشاب سرعان ما تمزقا وتأذت قدماه وساقاه بشدة من أشواك الصبار، ولكنه تابع ملاحقة الريشة الحمراء حتى بدأ الألم يجتاح جسده كله، فصرخ ونادى: «يا زوجتي الجميلة، انتظريني انتظري فأنا أحبك ولن أتركك!». عندها توقفت الريشة بعد سهل الصبار وانتظرت حتى اجتازه، ولكن ليس أكثر، فقبل أن ينزع أشواك الصبار من قدميه الجريحتين سبحت الريشة في الهواء، وهكذا نهض بصعوبة وتبعها حتى المساء موضع كانت تنتظره فيه الحسناء وقالت له:

Twitter: @ketab_n

«اجلس واسترح».

في تلك الليلة بدا أنها تشفق عليه، إذ تحدثت إليه مرة أخرى: «يا حبيبي، ويا زوجي، عد أدراجك! فالطريق أمامنا طويلة وصعبة جداً وقلبك ضعيف وفانٍ. وأنا ذاهبة إلى مجلس الأموات حيث لا يستطيع الأحياء الدخول!».

ولكن الشاب انتحب وتوسل إليها أن تدعه يرافقها وقال: «هذا لأني أحبك يا زوجتي الجميلة ولا أستطيع أن أتركك!».

ابتسمت وهزت رأسها بحزن وأجابت: «حسناً كما تريد، يبدو أن قلبك لن يتغير، وغداً سنمضي قدماً ليوم واحد ونتبع الطريق نحو المياه حيث يقع سلم الآخرين، وهناك سأقودك إلى المكان الذي ستنتظرني فيه للأبد».

وفي منتصف نهار اليوم التالي، قادت الريشة الطريق نحو وادٍ عميق ذي جدران شاهقة لم يستطع أي رجل من قبل اجتيازها حياً، وللحظة توقفت الريشة الحمراء فوق المنحدر فمد الشاب يده نحو الأمام محاولاً الإمساك بها، لكن وقبل أن يتخذ المكان المناسب سبحت مباشرة إلى أسفل الوادي العميق، كما لو أنه لم يكن هناك أي واد على الإطلاق، فبالنسبة للأطياف تبقى الآثار

Twitter: @ketab_n

التي ألفت رؤيتها مرئية لها حتى لو أزالتها المياه منذ زمن بعيد.

اندفع الشاب بوحشية نحو الهوة الشديدة الانحدار ونادى بيأس على الريشة: «يا زوجتي العزيزة! انتظري، انتظريني فقط، أنا أحبك ولا أستطيع أن أتركك!». وعندها كمن فقد عقله ألقى بنفسه من فوق الهوة وتعلق بيديه وهو يسقط، عندها رآه سنجاب صغير مخطط مرح كان يلهو في أسفل الوادي وصرخ قائلاً: «أيها الكائن المجنون الأحمق! ليس لديك جناحا صقر ولا يدا سنجاب ولا قدما طيف، وإذا سقطت فإنك ستتحطم إلى أجزاء وستأكل الحيوانات بقاياك! انتظر، تمسك جيداً فأنا سأساعدك لأنه على الرغم من أني لست سوى سنجاب غير أنه لدي عقل أفكّر به!».

ركض السنجاب الصغير بسرعة وأسنانه تصطك ونادى على رفيقته من خارج جحرهما في الركن الصخري: «يا زوجتي، يا زوجتي! تعالي بسرعة اذهبي إلى غرفة الذرة خاصتنا وأحضري لي بذرة شوكران. أسرعي و لا تسألي أي سؤال فإن رجلاً مجنوناً هنا سيحطم نفسه إلى أجزاء إذا لم نصنع له سلماً وبسرعة».

وهكذا ألقت الزوجة الصغيرة فرشاتها في وجهه وركضت متجاوزة الصخور نحو المخزن حيث اختارت بذرة شوكران

Twitter: @ketab_n

ضخمة وأسرعت عائدة بها إلى زوجها الذي كان يحفر حفرة في الأرض تحت المكان الذي تعلق به الشاب، ثم قاما بالبصق على البذرة ودفناها في الحفرة وأخذا يرقصان مغنيين حولها، وبحسب ما يستطيع المرء أن يفسر الآن (حيث أن ذلك كان منذ وقت طويل جداً وقليلاً جداً ما تتحدث السناجب) فإنهما قاما بغناء ما معناه:

«أيتها البذرة من النوع الطويل

النوع الطويل، النوع الطويل

ارتفعي أيتها البذرة، أيتها البذرة

هيا هيا ارتفعي».

كانت الأرض تتحرك في كل مرة يرقصان فيها حول البذرة ويغنيان أغنية، حتى أتما الدورة الرابعة وقالا: «هيا، هيا»، فانبثقت شجرة من الحفرة واستمرت في النمو إلى أن تمكن السنجاب الصغير من القفز إليها، ومن خلال إمساكه بأعلى غصن وتثبيت نفسه على الغصن الذي يقع أسفله تمكن من شد الغصن الأعلى وتوسيعه، وهكذا وفي وقت قصير تمكن السنجاب الصغير من جعل الشجرة تنمو إلى الارتفاع الذي

Twitter: @ketab_n

تعلق عنده الشاب وقام السنجاب بكل ما في وسعه ليمنع الشاب المسكين من القفز مباشرة على الشجرة قبل أن تصبح قوية بما يكفي لحمله. ثم قال له: «هيا، هيا» واختفى قبل أن يجد الشاب وقتاً لشكره. نزل الشاب مسرعاً عن الشجرة، وقبل أن يتمكن من أخذ قسط من الراحة بعد كل هذا العناء ظهرت الريشة وكان عليه أن ينهض ويتبعها.

وما إن مالت الشمس نحو المغيب حتى أسرعت الريشة نحو واد بين الجبلين، حيث تقع بحيرة جميلة، وعلى طرف البحيرة كان هناك رجل وامرأة عجوزان وقبيحان للغاية، يسيران جيئة وذهاباً عبر الطريق، تقدّما من الريشة وضحكا بصوت عال وحيّا الحسناء الجميلة بترحاب. ثم دعياها إلى الدخول، فمشت الحسناء نحو الماء بدون خوف، حيث ظهر سلم من منتصف البحيرة لتلقيها، فنزلت عليه بلا توقف حتى أصبحت تحت الماء. ولوهلة قصيرة ظهر ضوء لامع من الماء وسُمعت العديد من الأصوات السعيدة وموسيقى مرحة من تحت الماء، ثم اختفى كل شيء، وعندها بدت نجوم السماء وانعكاسها على الماء كأن شيئاً لم يكن.

صرخ الشاب وهو يجري إلى طرف البحيرة: «و أسفاه، يا

Twitter: @ketab_n

زوجتي الجميلة، يا زوجتي الجميلة انتظري، انتظري أنا أريد أن أذهب معك!». لكن ما تراءى أمامه كان المياه الرقيقة والرجل والمرأة الهرمين، لم يصعد السلم ولم يقم العجوزان بتحيته. فجلس على طرف البحيرة يضرب يداً بيد وهو ينتحب وعاد إلى رثائه القديم: «وأسفاه، وأسفاه! يا عروسي الجميلة يا زوجتي الجميلة أنا أحبك، أنا أحبك، ولكنني لم أعرفك وقتلتك!».

ومع اقتراب منتصف الليل سمع مرة أخرى أصواتاً غريبة وسعيدة. ثم فتح المدخل إلى أرض الأطياف ولمع الضوء فوق المياه الخضراء المظلمة من منافذ عديدة كشرارات المدفأة في يوم مظلم بدون رياح. ثم ارتفع السلم مرة ثانية ورأى أشكال الموتى وهي تعبر دخولاً وخروجاً وسمع أصوات «الكاكا»[1] وهي ترقص للآلهة. كان القادمون والمغادرون جميلين ومضيئين، يرتدون ثياباً بيضاء كالثلج مخاطة بالعديد من الخيوط الملونة، ويرتدون قلائد وأساور لا تحصى مصنوعة من الفيروز وأصداف بيضاء رائعة. وما إن غامر الشاب محاولاً الدخول حتى أصبح

(1) الكاكا، أو الرقص التمثيلي المقدس، يتم تنفيذه بعدد كبير من الأقنعة والأزياء التي يرتديها الراقصون من زوني خلال أداء هذه الشعائر الدراماتيكية الرائعة. وبدون أدنى شك فإن العديد من الشخصيات في التمثيل المقدس تمثل التعديلات الحضارية للمفاهيم الأسطورية أو تمثيلاً رمزياً للحيوانات. ولهذا فإن العديد من الشخصيات تتشارك فيما بينها في المظاهر كما في الأسلوب بين الحيوانات والإنسان (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

الماء عميقاً جداً وبارداً جداً، فبدأ يرتجف من شدة الخوف والبرد. ومع ذلك استمر بالنظر نحو المدخل. وبينما هو كذلك شاهد عروسه الجميلة مغطاة بالحلي والأشياء اللامعة. وهناك في وسط «الكاكا» جلست تشاهد الراقصين، بدت سعيدة وابتسمت وهي تراقبهم، واقترب الشاب المتألقّ فرحاً منها، فبدا كأنها نسيت عاشقها الوحيد.

زحف إلى شاطئ البحيرة وهو يصرخ صرخة يأس ولوعة ودفن وجهه في الرمال والأعشاب البرية، وفجأة سمع صياحاً خافتاً وبدا كأن صوتاً أجشاً يناديه. نظر صوب الشيء ورأى بوماً كبيراً يطير فوقه ناعقاً.

نادى الشاب بلوعة وغيظ: «ماذا تريد؟».

عندها طار البوم أقرب وحط إلى جانبه وسأله: «ما الذي يدفعك للبكاء يا ولدي؟».

التفت ونظر إلى البوم وأخبره عن مشكلته فأدار البوم رأسه دورة كاملة، كما يفعل البوم عادة، ليرى إذا كان هناك أحد بالقرب منه واقترب وقال: «أنا أعرف كل شيء عن مشكلتك أيها الشاب. تعال معي إلى منزلي في الجبل، وإذا اتبعت مشورتي سيكون كل

Twitter: @ketab_n

شيء على ما يرام». وهكذا قاده البوم إلى كهف مرتفع ودعاه للدخول. وما إن وضع قدمه داخل فتحة الكهف حتى اتسع ليصبح غرفة رائعة، واجتمع حوله العديد من الرجال والنساء البوم وحيوه بسرور ودعوه ليجلس ويأكل. وما إن دخل البوم الكهل الذي أحضره إلى الغرفة حتى تحول في غمضة عين إلى واحد منهم وعلّق معطفه المصنوع من ريش البوم على شماعة من قرون الوعل وذهب بعيداً، لكنه سرعان ما عاد وقد أحضر معه حقيبة عقاقير صغيرة وقال: «قبل أن أعطيك هذا دعني أخبرك ما الذي يتوجب عليك فعله وما هو الوعد الذي ستقطعه على نفسك أمامي».

مدّ الشاب يده بلهفة نحو العقار السحري.

صرخ الكائن: «أحمق، هذا ليس جيداً، ولهذا عليّ ألا أساعدك، فأنت مستعجل جداً ولن أستطيع أن ائتمنك على عقاري المنوم. أنت ستنام هنا وعندما تستيقظ عليك أن تعثر على نجمة الصباح في السماء وستجد زوجتك الميتة أمامك على الطريق نحو بيت النمل الأوسط، ومع شروق الشمس ستستيقظ وتبتسم لك. لا ترتكب الحماقات، وقم بالرحلة معها بحذر، ولا تقترب منها أو تقبلها حتى تصل إلى منزل أهلك، فلئن فعلت أخطأت وسيصبح كل ما فعلته هباءً كما لو أنه لم يكن أبداً. ولكن إذا اتبعت مشورتي

Twitter: @ketab_n

فسيكون كل شيء على ما يرام وستعيشان بسعادة مع بعضكما».

توقف البوم وأخذ حفنة صغيرة من العقار ونفخها في وجه الشاب، فغرق الشاب على الفور في نوم عميق في موضعه، وارتدت الكائنات معاطفها المصنوعة من ريش البوم وطارت إلى أسفل بعض الأشجار إلى جانب الطريق المؤدية إلى ماتساكي وبيت النمل الأوسط.

ثم طاروا فوق البحيرة وألقوا الدواء المنوم على النوافذ وأخذوا عيدان الصلاة المصبوغة بالأحمر والتي أحضرها الشاب معه واختاروا بعضاً من الريش الأحمر لأنفسهم وعندما دخل الآخرون منزل «كاكا» طاروا بهدوء فوق الآباء والأطفال النائمين (آلهة الكاكا) ووضعوا الريش أمام المذبح وأمسكوا الحسناء الجميلة وحملوها فوق المياه والغابات إلى حيث كان الشاب لا يزال نائماً ثم طاروا إلى جبلهم.

وما إن سطعت النجمة العظيمة من أرض النهار حتى استيقظ الشاب ونظر فإذا بزوجته الجميلة مستلقية أمامه، فأدار وجهه بعيداً خوفاً من الإغراء، وانتظر بفرحة واشتياق شروق الشمس. وعندما أشرقت الشمس أخيراً وأضاء الشعاع الأول وجه الحسناء الجميلة، فتحت عينيها ونظرت حولها باستغراب في البداية ولما

Twitter: @ketab_n

رأت عاشقها الوحيد ابتسمت وقالت: «أنت تحبني حقاً».ثم نهضا وارتحلا نحو منزل الآباء، ولم ينسَ الشاب نصيحة البوم والتزم الحكمة في مسيره، إلى أن حل اليوم الرابع ولاح في الأفق جبل الرعد وشاهدا النهر الذي يمر بمحاذاة مدينة الملح.

وما إن شرعا بالنزول عبر الوادي حتى توقفت الحسناء وقالت: «أنا متعبة فقد كانت رحلة طويلة ويوماً حاراً». ثم جلست في ظل شجرة سدر وقالت: «احرسني يا زوجي العزيز بينما أنام قليلاً، وبعدها سنتابع رحلتنا معاً» وقال الشاب: «حسناً فليكن».

استلقت وبدت نائمة. ثم ابتسمت فتألق جمالها في عيني محبها المشتاق، فنهض وزحف إلى قربها. ثم وأسفاه وضع يده عليها وقبلها.

نهضت الحسناء الجميلة بسرعة وقد علا الغضب والحزن وجهها ثم قالت بسرعة وغضب: «أيها الأحمق الوقح! أنا أعرف الآن! أنت لم تحبني! كان أملي في الحب بلا جدوى!».

أحنى الشاب رأسه وهو يشعر حقاً بالخزي والأسف وأخفى وجهه بيديه ثم أراد أن يتكلم عندما حلق بوم فوقهما وهو يصيح

Twitter: @ketab_n

بحزن حتى هبط على قمة شجرة واصطحب الحسناء بعيداً نحو الغرب وبقي الشاب تائه الأفكار إلى الأبد.

وأسفاه وأسفاه! هذا ما كان في أيام القدماء. ربما لو لم يقبلها الشاب وهما قرب البحيرة لما كنا ارتحلنا أبداً ولا شعرنا بالحزن لخسارة الآخرين. ولكن في النهاية هذا أمر جيد! فإذا لم يمت الرجال والنساء لامتلأ العالم منذ زمن بعيد بالأطفال وعانى من المجاعات والحروب.

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

حكاية الشاب والنسر

في الزمن المنسي، في أيام الأقدمين، في المكان الأوسط، أو ما يسمى اليوم شوينا (زوني)، عاش شاب حسن التربية كامل الرجولة. كان لديه نسر أليف يحتفظ به في قفص متدلٍ من سقف الشرفة الأولى في منزل عائلته. أحب الشاب ذلك النسر كثيراً فلم يستطع الابتعاد عنه، بل كان يمضي أغلب وقته في العناية به وملاطفته. في الصباح، عند الظهيرة، في المساء، وما بين هذه الأوقات، كنت تراه متجهاً نحو قفص النسر حاملاً له اللحم وكل ما لذ وطاب من الطعام. ويوماً بعد يوم كنت تجد الشاب جالساً إلى جانب النسر، يداعبه ويحادثه بحنان، والنسر يبدو مولعاً بصاحبه راضياً عن المعاملة التي يتلقاها منه.

وكلما هبت عاصفة أسرع الشبان إلى خارج المنزل للعناية بسلامة المحاصيل، بينما يبقى صاحبنا للاعتناء بالنسر. لم يكن يسترعي انتباهه أي شيء بحاجة للعناية، وما خلا تعاقب الصيف

Twitter: @ketab_n

والشتاء، بقي اهتمامه بالنسر بديلاً عن اهتمامه بحقول الذرة والبطيخ، على العكس من أشقائه كباراً وصغاراً وأقربائه الذكور عموماً، الذين كانوا ينظرون إليه كشخص مهمل لكل واجباته كرجل، ومبدد لمواردهم التي لم يساعد أصلاً في تحصيلها بسبب اهتمامه غير العادي بالنسر. وبالتالي وكرد فعل على تصرفات الشاب كنوا البغضاء تجاه النسر. وفي إحدى الأمسيات وبعد يوم عمل شاق، وعقب احتجاجات متكررة على الشاب لعدم اشتراكه في العمل، عادوا متعبين ومنهكين إلى المنزل، تسلقوا السلم إلى الشرفة المنخفضة ومروا في طريقهم إلى المنزل الأعلى بالقفص العظيم، توقفوا للحظة قبل أن يدخلوا وسأل أحد الإخوة الكبار متعجباً: «لقد احتججنا عبثاً على أخينا الأصغر ووضحنا له واجباته بكل الطرق الممكنة ولكن من دون نتيجة. ما الذي بقي علينا أن نفعله؟ ما الذي سنفعله لنبعده عن هذا النسر التعس؟».

قال أحدهم: «لِمَ لا نقتل هذا النسر الشقي؟، فهذه برأيي ستكون أيسر وسيلة لشفاء أخينا من هذا الوله».

هتف بقية الإخوة وهم يدخلون إلى المنزل: «هذه فكرة ممتازة، يجب أن نفعل ذلك».

Twitter: @ketab_n

يبدو أن النسر سمع ذلك كله وفكر ملياً فيه، وسرعان ما أتى الشاب ومعه اللحم وما لذ من الطعام للطائر الذي يحبه، ثم فتح باب القفص ووضع الطعام فيه ودعا النسر إلى الطعام، فما كان من النسر إلا أن نظر إليه ثم إلى الطعام بغير اكتراث، ثم أحنى رأسه إلى صدره وأقعى حزيناً صامتاً. فسأله الشاب: «أأنت مريض يا عزيزي النسر؟ لمَ لا تأكل؟».

أجاب النسر ناطقاً للمرة الأولى: «لست مهتماً بالطعام، إنني غارق في الهموم».

فقال الشاب: «عليك بالأكل يا نسري العزيز، لمَ أنت حزين؟ هل قمت بإهمالك؟».

أجاب النسر: «لا بالطبع لم تفعل، ولهذا السبب أحبك كما تحبني، مما يدفعني للاعتناء بك، كما ترعاني وتهتم بي، وهذا الأمر هو الذي يجعلني حزيناً. اسمع! لقد احتج إخوتك وأقرباؤك عليك مرات ومرات لإهمالك حقولهم وانصرافك إلى العناية بي، وعلى الأرجح هم غاضبون منك لعدم التزامك بأداء نصيبك من واجبات المنزل. ولهذا فهم ينظرون نحوي بعداء وبغض، حتى إنهم قرروا في النهاية قتلي ليتخلصوا من عطفك تجاهي واهتمامك بي. ولهذا

Twitter: @ketab_n

السبب أنا حزين، ولكن ليس لأنهم يستطيعون إيذائي، فكل ما أحتاج إليه هو أن أبسط جناحي عندما يفتح باب القفص، وعندها ما الذي يستطيعون فعله؟ ولكن لا أريد أن أفترق عنك لأني أحبك. أنا أعلم أنك لا تريد أن تفارقني لأنك تحبني. ولهذا أنا حزين، لأنه يجب علي أن أرحل غداً إلى منزلي في السماء». وعاد إلى صمته المشوب بالحزن.

تساءل الشاب وهو على وشك البكاء: «يا طائري العزيز! يا طائري الغالي! كيف سأستطيع العيش من دونك؟ كيف أبقى هنا بينما ترحل أنت، أنا هنا في الأسفل و أنت في الأعالي؟ كلا، فلترحل إذا كان لا بد لك من ذلك ولكني دعني أذهب معك».

قال النسر: «يا صديقي! يا صديقي المسكين، أنت لا تستطيع الذهاب معي فليس لديك الأجنحة كي تطير، ولا الدربة لتقود دربك خلال السماوات العالية إلى العوالم الأخرى التي لا تعرف عنها شيئاً».

جثا الشاب على ركبتيه إلى جانب القفص متوسلاً: «دعني أذهب معك، سأكون عوناً لك وأهتم بك، مثلما أفعل هنا، فلا أستطيع العيش من دونك».

أجاب النسر: «أيها الشاب، أتمنى أن تستطيع أن تأتي معي

Twitter: @ketab_n

ولكن العاقبة لن تكون جيدة. فأنت لم تختبر مقدار حبك لي حتى تتمنى مرافقتي هكذا. فكر للحظة! إن الطعام الذي نتناوله لا يمكنكم أنتم البشر أكله، أطعمتنا ليست مطهوة على النار، فنحن نأكل كل ما نصطاده كما هو ولا نحتاج إلى النار لطهوه كلياً أو جزئياً، لن تستطيع الصمود هناك».

صاح الشاب: «يا نسري، يا نسري إذا كان عليّ البقاء هنا في الأسفل بينما تطير أنت إلى الأعالي فلن يكون للطعام أي قيمة لدي، أليس من الأفضل أن ألتهم طعاماً نيئاً أو أبقى من دون طعام بالمرّة من أن أبقى هنا أفكر فيك بحزن وتعاسة، وبذلك لن آكل أبداً حتى من طعام قومي؟ كلا، دعني أذهب معك!».

قال النسر: «مرة أخرى أناشدك يا عزيزي الشاب ألا تذهب معي، فستكون هذه الرحلة سبباً لهلاكك ومبعثاً لأساي».

توسّل الشاب النسر قائلاً: «دعني أذهب! دعني أذهب! أرجوك دعني أذهب!».

أجاب النسر بهدوء: «كما تشاء، حسناً فليكن. اذهب الآن إلى منزلك للمرة الأخيرة واجمع كمية كبيرة من الطعام المغذي، كأنك تستعد لرحلة طويلة. ضع الطعام في صرّة تستطيع أن

Twitter: @ketab_n

تحملها على كتفك أو ظهرك. ثم تعال إليّ صباح غد بعد أن يذهب الآخرون إلى الحقول».

تمنى الشاب للنسر نوماً هانئاً وذهب إلى المنزل، وأخذ كمية كبيرة من الطحين المجفف، وحقيبة كبيرة من خبز الذرة المجفف والمطحون وأطعمة أخرى كالتي يحملها الصيادون لتسد رمقهم لفترة طويلة. أخذ مؤونة جيدة وجمعها في صرّة محكمة. ثم استلقى ليستريح وهو مفعم بآمال كبيرة وأفكار كثيرة حول الغد. تأخر في الاستيقاظ في الصباح ولم ينهض حتى غادر أشقاؤه إلى حقول الذرة خاصتهم، وتناول فطوره على عجل وحمل صرّة الطعام على كتفيه ونزل إلى حيث يقبع قفص النسر. كان الطائر العظيم في انتظاره، ولاحت ابتسامة في عينيه عندما فتح باب القفص وما إن استقر على الأرض حتى بسط جناحيه وطلب من الشاب الصعود على ظهره.

قال النسر: «اجلس على ظهري أيها الشاب فهو قوي، تمسك بجناحيّ واسند قدميك على فخذي حتى لا تسقط. أأنت مستعد! حسناً وهل أحضرت كل ما تحتاج إليه من طعام؟ حسن، فلنبدأ رحلتنا».

وبقوله هذا كان النسر قد ارتفع ببطء محلقاً في دوائر تتسع

Twitter: @ketab_n

أكثر فأكثر وتعلو أكثر فأكثر حتى ارتفع عالياً فوق المدينة وهو يطير ببطء. وسرعان ما قال: «أيها الشاب، سأغني أغنية وداع لقومك من أجلك ومن أجلي، حتى يعلموا برحلينا نهائياً». وبضربات سريعة من جناحيه أخذ النسر يدور ويدور ويرتفع أكثر فأكثر وهو يغنى أغنية الوداع.

وما إن تناهت الأغنية القادمة من الأعالي إلى أسماع الناس حتى تساءلوا: «الرحمة! ما الذي نراه! النسر والشاب إنهما يهربان! إنهما يتركاننا!».

وهكذا انتقلت الأخبار من فم لآخر ومن أذن لأخرى حتى أصبحت المدينة بكاملها تنظر إلى النسر والشاب، إلى أن تلاشت أصداء الأغنية بعيداً، وأصبح النسر أصغر وأصغر وهو يمضي في طريقه حتى أصبح مجرد نقطة وأخيراً اختفى في أعالي السماء.

هز الناس رؤوسهم وتابعوا عملهم، ومضى النسر والشاب حتى وصلا أخيراً إلى فتحة كبيرة في سقف السماء. وعبرا نحو الأعلى عبر جروف لا تنتهي وانتهيا إلى الطرف الآخر من عالم السماء، واستمر النسر بالصعود حتى حط بحمله المحبوب على قمة جبل من الفيروز أزرق لدرجة أن الضوء المنبعث منه يلون السماء بالأزرق.

Twitter: @ketab_n

قال النسر، متعباً في نهاية الرحلة: «ها قد وصلنا، لقد وصلنا إلى نهاية رحلتنا لهذا اليوم، فلنسترح على هذا الجبل العالي في بلادي الرائعة».

ترجل الشاب وجلس بجانب النسر، فرفع النسر جناحيه حتى تلامست أطرافهما ثم أخفض رأسه وأمسك بطرف هامته وهزها من طرف إلى أخر واستلها من مكانها، وعندها انفصل تدريجياً الرداء النسري، وبينما نظر الشاب وتعجب في حب وسعادة ظهرت أمامه حسناء جميلة، ناعمة ورائعة، بحلي ذات بياض ناصع. لم تخلق حسناء أجمل منها، وكان وجهها براقاً صافياً وعيناها سوداوين كبيرتين لهما نظرات حادة تدفع إلى الذهول عند النظر إليهما، مثل هاتين العينين لم ير لهما مثيل في هذا العالم.

قالت الحسناء وهي تقترب منه وتمد يدها نحوه: «تعال معي أيها الشاب، أنت يا من أحببتني كثيراً، فلنتجول لفترة في هذا الجبل ونبحث عن منزل قومي».

هبطا سفح الجبل وهما يبحثان في الضوء الصافي لعالم السماء، حتى رأيا مدينة لم يسبق للشاب أن رأى مثلها، جدرانها

Twitter: @ketab_n

شامخة ناعمة، خافتة الإضاءة، نظيفة وبيضاء، لا توجد فيها سلالم ولا دخان ولا قذارة في أي مكان.

قالت الحسناء: «هذا هو منزل أهلي». وأعادت ارتداء ثوبها كنسر، ثم حملت الشاب على ظهرها ثانية وحلقت بشكل دائري نحو الأعلى ورفرفت بجناحيها فوق منزل النسور، ثم حطت بهدوء من خلال أحد المداخل العريضة في السقف. لم يكن هناك سلالم في الداخل أو الخارج، فما من داع لها، لأن هؤلاء الناس وإن تمكنوا من التحليق كالنسور، إلا أنهم كانوا بشراً مثلنا، وربما أرفع شأناً فهم يستطيعون الظهور في أكثر من هيئة.

وعقب دخول الفتاة والشاب إلى هذا البناء العظيم اجتمع القوم بسرعة لتحيتهما بترحيب وغبطة وقالوا لهما: «اجلسا واستريحا».

نظر الشاب حوله، فرأى الغرفة التي دخلاها عالية واسعة، بيضاء جميلة، نظيفة ومؤثثة، يدخلها الضوء من خلال العديد من النوافذ في سقفها وجدرانها. لم يكن في العالم جدران تشبه جدران هذا البيت التي ازدانت بالعديد من مباهج النظر، حيث ثمة العديد من الأوتاد أو المشاجب والتي تعلق عليها أردية النسور التي تعيش هناك، ضمن الأشكال التي نعرفها.

Twitter: @ketab_n

قال شيخ: «اجلسا واستريحا وكونا سعيدين». وعندما نهض بدا مدهشاً بروعته، وحين اقترب من الثنائي قال وهو يبسط جناحيه: «فلتكونا دائماً زوجاً وزوجة. أتريدان ذلك؟».

فابتسما معاً وقالا: «أجل»، وهكذا تزوج الشاب الحسناء – النسر.

بعد بضعة أيام من الراحة عثر الشاب لنفسه على معطف نسري، من أروع ما يكون، مع جناحين قويين واسعين وريش جميل، ثم علمه القوم كيف يتكيف معه. وهكذا بدأت النسور تعلم النسر الصغير كيف يطير في عالمها. في البداية طلبوا إليه أن يتخذ شكل النسر في الحجرة الواسعة، التي تنتشر فيها الأشياء الجميلة وطلبوا إليه أن يفتح جناحيه ويقفز في الهواء. كان الشاب متلهفاً للتعلم، فبدأ يبسط جناحيه الكبيرين وبجهد كبير أرسل نفسه عالياً نحو السقف، ولكن بما أنه لم يتعلم كيف يبقي نفسه هناك سقط وتدحرج على الأرض. كرر ذلك عدة مرات حتى تعب، ولكن بعد فترة من الزمن تعلم كيف يبقي نفسه في الهواء ويدور في أرجاء الحجرة من دون أن يلمس شيئاً، وظلت زوجته تتخذ شكل النسر وتطير معه لكي تساعده، وكلما تعثر في طيرانه بفعل نسمة هواء قوية كانت تهرع لمساعدته كي لا يسقط، إلى

Twitter: @ketab_n

أن تعلم أخيراً كيف يثبت نفسه تماماً في الهواء. في أحد الأيام، طلبت منه أن يأتي معها إلى سقف المنزل ومن هناك حلقا بعيداً فوق الوديان العميقة والسهول في الأسفل، ودائماً ظلا يتجهان نحو الشمال والشرق، وكلما ارتبك في طيرانه ساعدته عبر دفع جناحيه إلى الأعلى باستخدام جناحيها، وهكذا علمته الطرق المختلفة للطيران، حتى أن الذين راقبوه وهو يطير أكدوا: «الآن حقاً تعلم طرق قومنا، كم هذا جميل!» وكان الجميع سعداء جداً الشاب وزوجته الحسناء – النسر.

في يوم من الأيام اصطحبت الحسناء الشاب فوق المناطق المجاورة وبينما هما يطيران قالت له: «ربما أنت تتساءل لماذا لا نطير أبداً نحو الجنوب، فيا عزيزي ويا زوجي لا تطر إلى هناك أبداً، فعند تلك الجبال المنخفضة يقع عالم مخيف حيث لا يستطيع أي فانٍ الذهاب. فإذا كنت تحبني حقاً، فلا تغامر البتة بالذهاب إلى هناك!» استمع الشاب إلى نصيحتها ووعدها بألا يفعل ذلك، ثم عادا إلى المنزل.

في يوم من الأيام نُظم صيد كبير وكان الشاب مدعواً للانضمام إليه. وحلقت فوق العالم الواسع هذه المجموعة من النسور الصيادة متجهة إلى السهول البعيدة. كانت تصطاد كل

Twitter: @ketab_n

ما يقع في طريقها، ففي الأسفل كان يمكن مشاهدة الطريدة، سواء أكانت أرنباً أم ماعزاً جبلياً أم ظبياً، وكل بحسب ما يرغب صيده من شتى أنواع الطرائد التي يراها، أما الشاب فقد أعاد إلى البيت حصته المتبقية من طرائده. ومن بين جميع الطرائد التي اصطادوها لم يستطع تناول أي واحدة، فرغم أن بيت النسور الكبير ذاك كان رائعاً جداً وكاملاً جداً، ولكن ليس فيه نار توقد ولا طعام يُطهى. وبعد مرور عدة أيام انتهت مؤونة الطعام التي أحضرها الشاب معه، فأخذته زوجته إلى الجبل العالي وقالت: «كما أخبرتك من قبل، إن المنطقة التي خلف الجبال المنخفضة مخيفة ومميتة، ولكن هناك في الشرق أنواع أخرى من الناس غير الذين يفترض بك أنت أن تخافهم. وليس بعيداً جداً يقع بيت البجع واللقلاق، الذين، كما تعلم، يأكلون الطعام المطهو كما يفعل قومك. فيا زوجي عندما تشعر بالجوع اذهب إليهم، وبما أنهم أجدادك فسيطعمونك ويمنحونك من فائض طعامهم، الذي يمكنك أن تحضره إلى هنا، وهكذا سنكون بحالة جيدة ونسعد معاً».

وافق الشاب على ما قالته زوجته المحبّة المخلصة وذهب في الطريق الذي دلته عليه، ووصل إلى منازل اللقلق. وما إن

Twitter: @ketab_n

رأوه حتى حيوه بترحاب كبير ودعوه لتناول الطعام. ولما جلس وضعوا أمامه خبز الحبوب، ويخنة الحبوب، والحبوب المحمصة، وعصيدة الحبوب الممزوجة باللحم، التي بدت شهية كحال الطعام في أرض قومه في الأرض الفانية. أكل الشاب بعضاً منها، وعاد إلى منزله بين النسور بعد أن شكرهم بامتنان. وهكذا جرى كل شيء على ما يرام كما قالت زوجته من قبل، واستمرا بالعيش معاً في سعادة[1].

عاش الشاب متنقلاً بين قريتي النسور واللقالق، وبمرور الوقت أصبح الأخيرون مولعين بالشاب مثل النسور وبدأوا يخاطبونه كأنه حفيدهم المحبوب، ونتيجة لهذا الولع بدأ جده وجدته بين اللقالق بتحذيره من المنطقة المخيفة التي تقبع خلف سلسلة الجبال المنخفضة نحو الجنوب، وتوسلوا إليه، كما فعلت زوجته، ألا يذهب إلى هناك، وفي يوم من الأيام عندما كان على وشك المغادرة قالوا له: «نستحلفك بحبنا، لا تذهب إلى هناك، نرجوك يا حفيدنا!».

(1) هذا تصور غريب ومثير عن طعام طيور اللقلق والبجع والكركي كما ترويه بعض الحكايات الشعبية. وهو وبدون شك محاولة لتفسير ما تمت ملاحظته على اللقلق والبجع بشكل خاص: ألا أنهم يأكلون طعامهم نيئاً بينما يعتقد الهنود أنهم يطبخونه في أجسادهم حيث يكون ثم يجترونه، إما لإطعام صغارهم أو من أجل وجباتهم. وعلى اعتبار أن طعام هذه الطيور نصف المهضوم يشبه يخنة زوني الكثيفة، فبالتأكيد استوحوا منه في هذه الحكاية أنواع الطعام التي تناولها الشاب لدى هذه الطيور (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

بدا منصاعاً لتوجيهاتهم وبسط جناحيه وطار بعيداً. ولكن بعد أن قطع مسافة طويلة استدار نحو الجنوب وهو يتساءل: «لماذا لا أرى ماذا يوجد هناك؟ من الذي يستطيع إيذائي وأنا أطير بهذين الجناحين القويين؟ من يستطيع إيذاء نسر في السماء؟» وهكذا طار فوق أطراف الجبال، ولدهشته ظهرت هناك مدينة عظيمة في السهول التي تلي تلك الجبال، جميلة ورائعة، فيها أبراج حجرية شيدت على طراز مدن القدماء الأموات، وكان الدخان الدال على وجود حياة يرتفع من مداخنها، وتراءى ازدحام الحياة في المدى الضبابي، متوافقاً مع اللحظات التي رآها فيها الشاب بتوقيت المساء.

رآه سكان المدينة وحملوه رسائل إلى مدينة النسور، فهم يرغبون بإقامة مهرجان راقص، يدعون إليه النسور وصحبهم لحضور المهرجان. وعندما عاد إلى منزله بين النسور كانت الرسالة قد وصلت إليهم ووجد زوجته بانتظاره عند المدخل وقد لاح عليها الأسف.

قالت له: «وأسفاه! وأسفاه! أيها الشاب! يا زوجي! وهكذا اخترت فضولك على حب زوجتك، وذهبت إلى البلاد المخيفة، وكما هو متوقع، فقد رأوك. والآن نحن

Twitter: @ketab_n

مدعوون لزيارة المدينة التي رأيتها لنشاهد الرقص الذي يؤديه سكانها، ودعوة كهذه لا يمكن رفضها وعليك أن تذهب معنا. بقي أن نرى، أيها الشاب الذي وثقت به، إذا كان حبك لي كبيراً جداً بحيث تتمكن من اجتياز الاختبار الذي جلبته على نفسك بتجاهلك نصيحتي ونصيحة أجدادك اللقالق. يا زوجي لقد يئست منك وبسبب هذا اليأس فإني أتوسل إليك أن تراعيني مرة أخرى وسيكون كل شيء على ما يرام. رافقنا الليلة إلى المدينة التي رأيتها، وهي أكثر المدن رعباً بين المدن، لأنها مدينة الملعونين، وفيها سترى أشياء رائعة ولكن إياك أن تضحك أو حتى تبتسم ولو لمرة واحدة. سأجلس إلى جانبك وأنظر إليك. فكر بي كما سأفكر بك، ومن خلال هذا التفكير لن تبتسم، إذا كنت فعلاً تحبني وتريد أن تبقى معي دائماً وتكون سعيداً مثلي، قم بهذا فقط من أجلي».

وعدها الشاب مراراً. وعندما هبط الليل توجه سكان مدينة النسور إلى تلك المدينة. كانت مكاناً جميلاً، كبيراً وأنيقاً، ذات جدران من الحجارة، ولها العديد من النوافذ الصغيرة التي يشع منها ضوء النار الأحمر. كان الدخان يتصاعد من المداخن ونار المشاعل تحترق على الأسطح، كان

Twitter: @ketab_n

مشهداً سعيداً مثيراً ذاك الذي رآه الفتى عندما اقترب من المدينة. أصوات ونداءات الحياة في كل مكان، الأضواء تشع والبهجة تتردد من كل شارع ومن كل غرفة، وفي قاعة الرقص الكبرى، التي اصطحبوهم إليها كان جمع المشاهدين مكتملاً.

سمعت أصوات العرض القادم وهي تقترب أكثر فأكثر وكان الجميع في حالة ترقب. ارتفعت ألسنة اللهب وسطعت الأنوار في أرجاء الغرفة جاعلة إياها مضيئة كالنهار. دخل الراقصون، وأغلبهم فتيات جميلات يرتدين أثمن حلي القدماء، يتمتعن بأعين براقة وشعور سوداء ناعمة، وتشع وجوههن فرحاً وسروراً. نزلن السلم إلى الغرفة عند المكان الذي جلس فيه الشاب وهن يتمازحن، وبينما هن يرقصن في وسط الغرفة كن يصرخن في سعادة ولكن أصواتهن بقيت مزعجة عندما قمن بالتدافع وتبادلن المزاح المنفر واتخذن أكثر الوضعيات إثارة للضحك:

(«ميتة! هذه ميتة! وهذه! وهذه!») وهن يشرن إلى بعضهن، وكررن هذا التعبير المهلك على الرغم من جمالهن وامتلائهن بالحياة والمرح والسعادة.

ونظر الشاب إليهن طوال فترة الرقص الطويلة، وعلى الرغم من أنه استغرب الكلام الذي لا ينسجم مع مظاهر الحياة والجمال

Twitter: @ketab_n

المرح البادية عليهن، إلا أنه لم يشعر أبداً بالتسلية من سلوكهن الغريب ونكاتهم الصامتة. وظل غير مبتسم.

ثم عدن ثانية وكان هناك المزيد من الراقصات، أكثر مرحاً ممن سبقنهن، ومن بينهن فتاتان أو ثلاث ذوات جمال أخاذ تميزن حتى بين ذلك الحشد من النساء الجميلات، وأخذت إحداهن تنظر بدلال نحو الشاب، وتقوم بتوجيه جميع ابتساماتها وغبطتها نحوه.

بدأ الشاب ينسى كل شيء آخر وهو منحن إلى الأمام، منهمكاً في مراقبة هذا الفتاة ذات العينين البراقتين والابتسامة المرحة. وأخيراً ضحك عالياً عندما قامت الفتاة بدفع إحدى الراقصات بطريقة أكثر مرحاً من ذي قبل، ومباشرة ركضت الفتاة إليه وجرته إلى الرقص. رفعت الحسناء – النسر جناحيها وصرخت كمن أصابته مصيبة وطارت بعيداً مع قومها. ولكن الشاب لم يأبه بذلك، لقد كان غارقاً حتى أذنيه في المتعة مثل الحسناوات إلى جانبه، ورقص معهن في طول قاعة الرقص المضاءة وعرضها، مشاركاً في وضعياتهن الغريبة وصيحاتهن والتي لم يكن قد فهم معناها الحقيقي بعد.

وشيئاً فشيئاً بدأت النار تخبو، وقالت الحسناوات له: «تعال وامض الليلة معنا هنا. لماذا تعود إلى منزلك؟ ألسنا صحبة مرحة؟

Twitter: @ketab_n

ها ها ها» وبدأن بالضحك ودفع بعضهن مرة أخرى. ثم أرشدن الشاب إلى مكانه، بعيداً في غرفة قصيّة كبيرة ورائعة، وهناك استلقى على دثار ناعم، واجتمعت تلك الحسناوات حوله، واحدة تسند رأسه على ذراعها، وأخرى تبتسم له وثالثة تجلس إلى جانبه وسرعان ما غرق في النوم، وصمت الجميع حوله.

في الصباح، عندما غطى ضوء النهار الأفق، فتح الشاب عينيه وجلس. بدا أن هناك ضوءاً أكثر بكثير مما يفترض أن يكون في المنزل. نظر إلى الأعلى ورأى أن الغرفة التي كانت جميلة مؤثثة بالأمس أصبحت متداعية فوق رأسه، والرياح تصفر عبر الشقوق الكبيرة في الجدران، والنوافذ مكسورة ومفتوحة على مصراعيها، والريح تحمل الغبار وتلقيه في الغرفة القديمة المقفرة. كانت الدعائم جافة ومنحنية بفعل الزمن، وبعضها مكسور مقوس، وبعض قطع السقف تسقط بين حين وآخر عندما تضربها الرياح بقوة. نهض فسقط هيكل عظمي بارد حوله؛ وعندما أشاح بنظره عنه رأى على الأرض عظاماً وجماجم متناثرة، هنا وهناك، وجهاً نصف مدفون في الرمال، وعينين غائرتين وجافتيين ورقعة من الجلد تتدلى منهما، وبدا أنهما تحدقان به. وقد انتشرت هنا وهناك أصابع وأقدام كما لو أنها لمومياءات، بدا

Twitter: @ketab_n

كما لو أن الشاب دخل مقبرة كبيرة تركت فيها بقايا الأموات من عصور مختلفة. رفع نفسه أكثر وحيث كان رأس إحدى الحسناوات مستنداً إليه، وذراع الأخرى ملقى فوقه، وجد العظام. وكان عليه أن يلتقطها واحدة واحدة بهدوء ويضعها على الأرض حتى استطاع أخيراً أن يحرر نفسه، ونهض و مشى بحذر بين العظام المتناثرة حوله محاولاً ألا يصدر أي ضجة حتى وصل إلى مدخل محطم. وما إن عبر الباب حتى تعثرت قدمه بشظية من العظام كانت هناك بين الأنقاض، وكما تغني الشظايا في الرياح غنت هذه الشظية. وبسبب الرعب والهول الذين عانى منهما الشاب قفز نحو الأمام وركض ناجياً بحياته في اتجاه منازل اللقالق. ولكن هذه العظام والبقايا الميتة نهضت وبدأت بمطاردته بعنف كأنها قطيع من مصاصي الدماء وهي تصيح وتنوح وتغني كالشظايا في الرياح، وكصرير الأغصان في الغابات، والتي بدا أنها تجمد الدم في عروق الشاب كلما ركض أكثر.

استمر بالركض طويلاً وكانت تلك الغيمة من الأموات تقترب منه أكثر فأكثر وتضغط حوله، عندها لمحه أحد أجداده، على شكل غرير[1] قرب جحر. كان الغرير الذي لحقه الآخرون،

(1) حيوان قصير القوائم يحفر في الأرض (م).

Twitter: @ketab_n

سريعاً في الوصول إليه، فقد سمع الضوضاء المخيفة وصرخ عالياً: «إنه حفيدنا! هيا لننقذه!» وهكذا ركضوا نحو الأمام ورفعوه لأعلى وأنزلوه في أحد جحورهم[1]، ثم استداروا نحو الحشد الغريب وانتصبوا في مواجهتهم واستطاعوا بجهودهم الجبارة وعزمهم الهائل إطلاق تلك الرائحة التي باستطاعتها أن تهزم حتى أعتى الرياح. وتواجهت هذه الرائحة مع حشد الأشباح التي ارتـدّت وهي تصدر صراخاً وعويلاً وتصك أسنانها، وعادت إلى مدينة الموتى. وأسرع الغرير إلى المكان الذي استلقى فيه الشاب، أوقفوه على قدميه ووبخوه بشدة على حماقته.

ثم قالوا له: «اجلس أيها الأحمق، فأنت لم تنج بعد!» ثم التفتوا إلى بعضهم وقالوا: «أسرعوا! وسخنوا بعض الماء!». أحضروا الماء الساخن ومزجوا فيه بعض الأعشاب الغثة وعقاقير أخرى ثم أمروا الشاب أن يشرب منه، ليس مرة واحدة بل أربع مرات. وبعد أن عالجوه بهذا الشكل سأله الغرير الشيخ إن كان يشعر بالراحة، فأجاب الشاب أنه بخير تماماً قياساً بما مرّ به.

أوقفوه في وسطهم وقالوا له: «أيها الأحمق، يا عديم الوفاء، لماذا ذهبت وأصبحت عاشقاً للموت رغم الجمال الظاهر؟ إنها

(1) انسجاماً مع أنسنة هذه الحيوانات، كما هي الحال في معظم الحكايات الشعبية، فقد آثرنا استعمال صيغة العاقل في وصفها (م).

Twitter: @ketab_n

معجزة أننا استطعنا بمهاراتنا وقوتنا أن ننقذك حتى الآن. فلا يزال الأمر بحاجة إلى أعجوبة أكبر، أيها الأحمق، لو أن زوجتك التي أحبتك لا تزال تحبك بما يكفي بعد هذه الخيانة، لأنقذت حياتك التي أضعتها. من ذا الذي يرقص ويطلب المتعة في أحضان الموت؟ اذهب الآن إلى منزل أجدادك اللقالق وعش هناك. لقد ضاع ريشك، وتاه حبك، فماذا بقي لك؟ فأنت لا تستطيع العودة إلى قومك في الأسفل من دون أجنحة ولا تستطيع العيش بين النسور من دون حب. ولهذا فاذهب إلى أجدادك!».

نهض الشاب وجر نفسه بعيداً نحو منازل اللقالق ولكنه عندما وصل إلى هناك نظروا إليه شزراً ووبخوه مرة إثر أخرى بقولهم: «هناك أمل ضعيف جداً بأن تسترد ما خسرته ألا وهو حب زوجتك وعاطفتها».

فقال الشاب: «ولكني سأذهب إليها و أتوسلها، كيف لي أن أعرف ما الذي كنت أفعله؟».

فرد القوم: «لقد حذرناك مراراً وأنت تجاهلت كلامنا».

وهكذا مشى الشاب نحو منازل النسور، وتسكع خارج المنزل الكبير ذي الأسوار العالية وهو يتنهد ويتحسر. كانت

Twitter: @ketab_n

النسور تغدو جيئة وذهاباً، أو تتجمع على السطح وتتحدث، ولكنها لم توجه له كلمة ترحيب واحدة. وأخيراً ظهرت زوجته فوقه وهي ترتعش مشمئزة وقالت: «عد! عد إلى أجدادك. لعل حبهم لك لم يضع، ولكنك أضعت حبي لك. عد! فليس باستطاعتنا بعد الآن استقبالك بيننا. أيها الأحمق عديم الوفاء ستكون عبرة للآخرين!».

وهكذا عاد الشاب حزيناً إلى منازل اللقالق. وهناك بقي، ولكنه ظل يعود إلى منازل النسور. وأخيرا ناشد النسور الأكبر سناً في إحدى المرات التي كان فيها الشاب غائباً، الفتاة – النسر أن تعيد الشاب إلى منزله.

فسألتهم الفتاة: «أتطلبون مني أنا، زوجته التي أحبته أن ألمسه الآن بعد أن أصبح ملوثاً بعشق الموت؟».

ولكنهم استمروا في مناشدتها حتى رضخت في النهاية. وهكذا عندما ظهر الشاب مرة أخرى في منازل النسور، كانت الفتاة قد عثرت له على رداء نسر عجوز، فيه ريش مكسور. كان الرداء ممزقاً ومزرياً، وجناحاه شديدي الهزال حتى إن الرياح كانت تصفر من خلالها. هبطت إليه وهي تحمل الرداء وطلبت منه أن يرتديه وعندما فعل، قالت له: «تعال معي الآن،

Twitter: @ketab_n

وطر كما علمناك».

وطارا بعيداً إلى قمة الجبل الأزرق، وبعد أن استراحا هناك قليلاً شرعا بالهبوط نحو السماء التي رآها نزولاً في دوائر ضيقة. وكلما ارتبك الشاب بسبب جناحيه التالفين كانت الزوجة ترفعه حتى تعبت، وتذكرت في تلك اللحظة خيانته، فأمسكت بمنقارها رداء النسر الذي يرتديه وخلعته عن جسده وودعته الوداع الأخير وطارت بعيداً حتى غابت عن النظر في السماء. وفي لحظة واحدة ارتجف الشاب وتدحرج مرات ومرات وسقط في مركز المدينة التي عاش فيها عندما أحب النسر، وهلك تماماً.

حدث هذا في أزمنة القدماء، ولذلك لا يستطيع أي فانٍ تجنب الموت، لأي سبب من الأسباب، أو باستخدام أي طريقة من الطرق أو باللجوء إلى أي كائن تحت الشمس. ولكن إذا أراد المرء أن يحيا أطول مدة ممكنة فعليه ألا يكرر تجربة هذا الشاب ويغدو عاشقاً للموت.

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

حكاية راعية ديوك الحبش الفقيرة

في الزمن البعيد، لم يكن لدى أجدادنا القدماء أغنام ولا جياد ولا ماشية، إلا أنهم اقتنوا حيوانات أليفة مختلفة الأنواع منها ديوك الحبش.

وفي ماتساكي أو مدينة الملح، عاشت في تلك الأيام أسر عديدة فاحشة الثراء ملكت قطعاناً كبيرة من هذه الطيور، وقد كان متبعاً آنذاك أن يقوم العبيد أو الفقراء من الناس برعي هذه الحيوانات في السهول المحيطة بجبل الرعد، الذي تقع مدينتهم على سفحه وعلى المصاطب خلفه.

وفي ماتساكي في ذلك الوقت، بعيداً عند أطراف المدينة كان هناك منزل مهدم ليس فيه إلا غرفة واحدة، عاشت فيها فتاة وحيدة فقيرة جداً. فقيرة إلى حد أن ملابسها كانت ممزقة ومرقعة وقذرة، فبدا النظر إليها مخجلاً بسبب طول الإهمال وسوء الحال، على الرغم من أنها لم تكن قبيحة، إذ أوتيت وجهاً فاتناً وعينين برّاقتين فيما لو أتيح لوجهها أن يغدو بيضاوياً أكثر

Twitter: @ketab_n

ولعينيها أن تبدوا أقل تعباً. كانت فقيرة إلى حد أنها كانت ترعى ديوك الحبش من أجل لقمة العيش، القليل من الطعام الذي يقيتها من يوم إلى آخر، وربما في بعض الأحيان قطعة ثياب متهرئة.

كانت متواضعة كجميع الفقراء في كل زمان ومكان، وبسبب توقها الشديد للحنان الذي لم تحظ به، منحت عنايتها واهتمامها إلى ديوك الحبش، فكانت تقودهم عبر السهول كل يوم. وبالمقابل كانت ديوك الحبش تقدرها وتطيعها طاعة عمياء. لقد أحبت الديوك راعيتها كثيراً إلى حد أنها كانت تلبي نداءها بدون تردد وتتبع أوامرها إلى في أي وقت وترافقها على أيّ مكان.

وفي أحد الأيام بينما كانت الفتاة الفقيرة عائدة بقطيعها من ديوك الحبش إلى السهول، مرت بقرب زوني، أو بيت النمل الأوسط كما علمنا الأجداد أن نسمي موطننا، وسمعت المنادي يعلن من سطوح أحد المنازل أن رقصات الطير المقدس ستتم بعد أربعة أيام (وهو مهرجان مقدّس يحبه أبناء شعبنا، خاصة الشبان والفتيات اللواتي يسمح لهن بالمشاركة في الرقص).

تاقت الفتاة الفقيرة بشدة لحضور هذا الاحتفال، لكن لم يكن يسمح لأمثالها بالمشاركة أو حتى بمشاهدة المهرجانات العظيمة

Twitter: @ketab_n

التي يقيمها قومنا أو جيراننا من المدن المجاورة، لذا كبتت توقها هذا قائلة: «من المستحيل بالنسبة لي أن أشاهد رقص الطائر المقدس فكيف والمشاركة به، وأنا على حالتي هذه من الدمامة والمرض». وأخذت تسلي نفسها بالتحدث مع ديوك الحبش في قطيعها، وكعادتها دائماً قادت القطيع وأعادته عند حلول الظلام إلى أقفاصه على أطراف المدينة.

في كل يوم بعد إعلان موعد المهرجان، وبينما الفتاة تقود قطيعها في الصباح، كانت تشاهد الناس منهمكين في التنظيف وتحضير الثياب وطبخ ما لذ وطاب من الأطعمة وتجهيز كل ما يلزم خلاف ذلك من أجل المهرجان، فكانت تسمعهم يتحدثون ويضحكون بمرح حول ما سيحدث في العيد القادم. وهكذا أمضت النهار تلو الآخر مع ديوك الحبش تتحدث إليهم على الرغم من أنها لم تكن تحلم بأنهم قد يفهمون كلمة واحدة مما تقوله.

ولكن تبيّن أنهم قد فهموا، وربما أكثر من الذي كانت تقوله لهم، ففي اليوم الرابع، وبعد أن غادر جميع أهل ماتساكي نحو زوني وبقيت الفتاة تتجول وحدها في السهول مع ديوك الحبش، وقف أحد كبار الديكة جاعلاً ذيله على شكل مروحة، فبدا

Twitter: @ketab_n

جناحاه كالثوب النسائي، ممتلئاً فخراً ومنتفخاً بالعظمة، ومد رقبته نحوها وقال: «يا أمنا الحسناء، نحن نعرف بماذا تفكرين؟ وإننا نشفق عليك حقاً، ونتمنى أن تستطيعي الاستمتاع بهذا العيد في المدينة هناك مثل جميع سكان ماتساكي، لقد قلنا لأنفسنا في الليل بعد أن وضعتنا بأمان وراحة في أقفاصنا: «إن أمنا الحسناء تستحق الاستمتاع بهذه الأمور مثل أي شخص آخر في ماتساكي أو زوني»، والآن استمعي إلي جيداً، فأنا أتحدث باسم جميع كبار قومي عندما أقول: إذا قمت بإيصالنا مبكراً اليوم عندما يكون الرقص في أوجه والناس في قمة سعادتها فسنساعدك حتى تصبحي أكثر جمالاً وأبهى ثياباً بحيث لن يستطيع أي رجل أو امرأة أو طفل بين هؤلاء المجتمعين في حلبة الرقص أن يعرفوك، وعلى العكس سيتساءلون وخاصة الشبان منهم، من أين أتيت وسيتدافعون لإمساك يدك في حلبة الرقص حول المذبح. يا أمنا الحسناء، أتحبين الذهاب لمشاهدة هذا الاحتفال، بل المشاركة فيه لتسعدي مع نخبة قومك؟».

دهشت الفتاة المسكينة في البداية، ولكن سرعان ما أصبح تبادل الحديث مع ديكة الحبش أمراً طبيعياً، حتى إنها جلست على صخرة صغيرة وانحنت ونظرت إليهم وقالت: «يا ديكتي

Twitter: @ketab_n

المحبوبة، كم أنا سعيدة أنه باستطاعتنا التحدث مع بعضنا! ولكن لماذا يتوجب عليكم التحدث معي عن الأشياء التي تعرفون تماماً أني أتوق إليها ولكني لا أمتلك الوسيلة لتحقيقها؟».

أجاب الديك الكبير: «ثقي بي، فأنا أتحدث نيابة عن قومي. عندما نبدأ بالنداء والصياح المستمرين، ونستدير في اتجاه طريق العودة نحو ماتساكي عليك أن تتبعينا وسنريك ما نحن قادرون على فعله من أجلك. فقط يجب أن أخبرك أمراً واحداً، لا أحد يعلم مقدار الحظ والسعادة الذي قد يصادفك وقد تستمتعين لفترة بالمباهج التي سنوفرها لك، ولكن في قمة سعادتك عليك ألا تنسينا، نحن أصدقائك ونحن نعتمد عليك كثيراً وإلا سنفكر أن والدتنا الحسناء التي بالرغم من كونها متواضعة وفقيرة إلا أنها تستحق حياتها القاسية، فعندما تكون ثرية لا تعامل الآخرين بمثل ما يعاملها الآخرون به الآن».

صرخت الفتاة وهي غير واثقة تماماً من أنهم قادرون على فعل كل هذا من أجلها، لكنها تتحرق شوقا للمحاولة: «لا تخافوا يا ديكتي الأعزاء، لا تخافوا. سأطيعكم في كل ما تأمروني به مثلما كنتم دائماً تطيعونني».

Twitter: @ketab_n

بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب، فاستدارت الديكة من تلقاء نفسها عائدة نحو المنزل، وتبعتها الفتاة والأمل يغمر قلبها. كانوا يعرفون أماكنهم تماماً حيث ركضوا إليها مباشرة. وحين دخلوا جميعاً، بمن فيهم الصغار عديمي الريش، نادى الديك الكبير على الفتاة قائلاً: «الآن أيتها لفتاة اجلسي، وأعطيني وأصحابي ما ترتدينه من ملابس قطعة بعد أخرى وسنرى إذا كان بإمكاننا تجديدها».

وفوراً خلعت الفتاة الشال الذي يكسو كتفيها وألقته على الأرض أمام المتحدث، وقام الديك بتجعيده بواسطة منقاره ثم فرشه وداس عليه وخفض جناحيه وبدأ يختال فوقه جيئة وذهاباً. ثم حمله في منقاره واستمر بالتبختر ونفخ ونفخ ثم وضع على الأرض أمام الفتاة شالاً مزخرفاً أبيض جميلاً من القطن. ثم أتى ديك آخر وأعطته الفتاة قطعة أخرى من ملابسها وجاء آخر وآخر حتى تحولت كل قطعة متهرئة من ثياب الفتاة إلى قطعة جديدة وجميلة كأنها تعود لسيدتها في ماتساكي.

وقبل أن ترتدي الفتاة ثيابها التفّت الديكة حولها في دائرة وهي تغني وتصفق، وتمرر أجنحتها برفق على جسدها حتى أصبحت نظيفة وأصبح جلدها ناعماً وبراقاً كأجمل فتاة من

Twitter: @ketab_n

أغنى أسرة في ماتساكي. غدا شعرها ناعماً ومنسدلاً عوضاً عن الشعر القبيح المحترق بفعل الشمس، وتورّدت وجنتاها مع غمازتين رائعتين ورقصت عيناها بالابتسامات. وعندئذ تأكدت من صحة ما قالته الديكة.

وأخيراً، تقدم ديك كهل نحوها وقال: «فقط الحلي الثمينة والتي ترتديها الثريات تليق بك، يا أمنا الحسناء، فنحن لدينا أعين ثاقبة ولقد جمعنا الكثير من الأشياء القيمة، والتي بسبب صغرها، يفقدها الرجال والفتيات من وقت لآخر».

وبسط جناحيه وبدأ بالقفز في دوائر على الأرض وهو يلقي برأسه إلى الخلف وقد تدلت لحيته على رقبته، وفجأة بدأ بالسعال، وأخرج من رقبته عقداً جميلاً، وأحضر ديك آخر أقراطاً وهكذا، حتى ظهرت جميع الحلي المناسبة لتلاءم ثياب فتاة من ذلك العصر، فوضعت عند قدمي راعية ديوك الحبش الفقيرة.

زينت الفتاة نفسها بهذه الأشياء الجميلة، وشكرت ديوك الحبش مرات ومرات وهمت بالذهاب فنادوها قائلين: «يا أمنا، دعي الحظيرة مفتوحة، فمن يدري هل ستتذكريننا عندما يتغير حظك أم لا، أو لن تخجلي عندها بكونك راعية ديوك الحبش؟ إننا نحبك فلهذا نرغب بأن نأتي لك

Twitter: @ketab_n

بالحظ الجيد، ولهذا تذكري نصيحتنا ولا تبقي طويلاً».

أجابت الفتاة: «سأتذكر بالتأكيد يا أعزائي!».

ومشت مسرعة على طول النهر نحو زوني. وعندما وصلت إلى هناك دخلت من الطرف الغربي للمدينة من خلال أحد الممرات الطويلة المغطاة والتي تؤدي إلى ساحة الرقص. وما إن دخلت إلى حلبة الرقص، حتى بدأ الجميع ينظرون إليها، وبدأت الهمسات تسري بين الحشود، همسات دهشة من جمالها ومدى الثراء الذي تظهره ثيابها، وبدأ الناس يسأل بعضهم بعضاً: «من أين أتت هذه الفتاة الحسناء؟».

لم يطل وقوفها هناك، فبعجلة اتجه نحوها المشرفون على الرقص بحللهم الدينية البهية، ومع الاعتذار لكون ترتيباتهم غير كاملة، بالرغم من أنها كانت مكتملة كأفضل ما يستطيعون القيام به، دعوها لمشاركة الشبان والحسناوات في الرقص حول الموسيقيين والمذبح في مركز الساحة.

دخلت الفتاة بخجل إلى حلبة الرقص، مع ابتسامة على وجهها وخصلة من شعرها تنسدل على عينيها، وتنافس أفضل الشبان لإمساك يدها. أصبح قلبها خفيفاً وقدماها رشيقتين،

Twitter: @ketab_n

وسرّعت الموسيقى أنفاسها فانحدر العرق الدافئ على وجهها ورقصت حتى غابت الشمس في أقصى الغرب.

ولكن وأسفاه! في قمة استمتاعها نسيت في ديوك الحبش، أو لعلها إن فكرت بهم قالت لنفسها: «أيعقل أن أبتعد عن أكثر تقدير حظيت به لأعود إلى جماعتي من الديكة الصيّاحة؟ سأبقى قليلاً بعد، وقبل أن تغرب الشمس بقليل سأركض عائدة إليهم، وبذلك لن يعرف هؤلاء الناس من أكون، وسأتمكن من التمتع بحديثهم يوماً بعد يوم وهم يتساءلون عن الفتاة التي شاركتهم الرقص».

ومضى الوقت سريعاً، وتم إعلان رقصة أخرى وأخرى، ولم يدعها القوم تستريح لحظة، بل رغبوا بوجودها في كل رقصة كلما تحلقوا حول الموسيقيين والمذبح في وسط الساحة.

وأخيراً غربت الشمس، وانتهى الرقص، عندئذ ركضت الفتاة فجأة وبخفة، أكثر من أغلب سكان القرية، وأسرعت نحو مجرى النهر قبل أن يستطيع أحد أن يتبع المسار الذي أخذته.

أثناء ذلك، تأخر الوقت، وبدأت الديكة بالتساؤل لماذا لم تعد راعيتهم إليهم. وأخيراً شرح لهم ديك رمادي كهل بأسى: «كما

Twitter: @ketab_n

توقعنا، لقد نسيت أمرنا، ولهذا فهي غير جديرة بالأشياء الأمثل التي قدمناها لها. دعونا نذهب إلى الجبال فلسنا مضطرين لتحمل هذا الأسر المزعج بعد الآن، كما أنه ليس علينا الظن براعيتنا بأنها طيبة وصادقة كما فعلنا قبلاً».

وتنادوا على بعضهم بصوت عال، ثم خرجوا من أقفاصهم، ركضوا نحو وادي غابات القطن، ومن خلف جبل الرعد، خلال بوابات زوني حتى وصلوا إلى الوادي.

وصلت الفتاة منقطعة الأنفاس إلى الحظيرة المفتوحة ونظرت إلى الداخل، ولكنها لم تجد أي ديك هناك! وتتبعت أثرهم وركضت وركضت عبر الوادي كي تصل إليهم، ولكنهم كانوا بعيدين جداً. ومر وقت طويل قبل أن تستطيع سماع أصواتهم وعندئذ ضاعفت من سرعتها وعندما أصبحت على مقربة منهم سمعتهم يغنون هذه الأغنية:

إلى أعلى النهر إلى إلى

إلى أعلى النهر إلى إلى

غنوا غنوا

Twitter: @ketab_n

نحو أعلى النهر إلى إلى

نحو أعلى النهر إلى إلى

غنوا غنوا

أمنا الحسناء

ذهبت إلى المكان الأوسط لترقص

ورحلت بعيداً

ولهذا وبينما تسعى

نحو وادي ميسا

والسهول التي تعلوه

سنهرب جميعاً!

غنوا غنوا

توت توت

توت توت

Twitter: @ketab_n

عند سماعها هذه الأغنية، نادت الفتاة على الديكة، ولكنها نادت ونادت دون جدوى. أسرعت الديكة الخطى وهي تبسط أجنحتها لتساعدها على الإسراع أكثر، واستمروا بالغناء مراراً حتى وصلوا إلى قاع وادي ميسا على أبواب جبال زوني. وغنوا أغنيتهم مرة أخرى بصوت واحد وبسطوا أجنحتهم على وسعها وحلقوا بعيداً فوق السهول الأعلى.

رفعت راعية ديكة الحبش الفقيرة يديها نحو الأعلى ونظرت إلى ثوبها، المتسخ والمليء بالغبار، لقد عاد كما كان وعادت إلى حالها السابقة راعية فقيرة، فمضت أدراجها يائسة ومتعبة إلى ماتساكي.

هذا ما كان في قديم الزمان، ولهذا نرى الصخور تتجه نحو أعلى وادي ميسا، حيث تشاهد هناك آثار ديكة الحبش وأصابعها.

حفرت أحرف الأغنية التي أنشدها الديكة في الصخر عبر السهول على طول أطراف جبال زوني وأصبحت الديكة أكثر وفرة في ذلك المكان منذ ذلك اليوم، وأكثر من أي مكان آخر.

Twitter: @ketab_n

وفي نهاية المطاف فإن الآلهة قد رتبت شؤون البشر كما يناسبها، فإذا كان المرء فقير القلب والروح كما هو فقير المظهر، فلن يكون إلا فقيراً في نهاية المطاف!

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

كيف جاءت طيور الصيف

في زمن الأقدمين، عاشت حسناء جميلة في مدينة عند سفح جبل الرعد تدعى كياكيم. ولكن شيئاً واحداً أدهش كل من عرفها، وهو أنها نادراً ما كانت تخرج من غرفتها أو من منزلها، كما لم يبد عليها أبداً الاهتمام بمشاهدة الشبان وهم يرقصون.

والآن هكذا جرت الأمور. فكلما أمطرت السماء، تسلل أحد آلهة المطر من فتحة الضوء في سقف غرفتها، لينزل عبر قطرات المطر ويتودد إلى الفتاة، ثم تزوجها دون أن يعلم قومها عن الأمر شيئاً. وهكذا بقيت في صحبته كلما هطل المطر، أما عندما يندى الليل فكان يأتيها على سلم من ماء، وكانت سعادتها غامرة فلم تفتقد أحداً من الرجال. ومرت الأيام تباعاً، وانتفض قومها الذين لم تكن أعينهم لتبصر هذا الإله، زوجها، من الدهشة عندما ولد لها طفل صغير.

Twitter: @ketab_n

الآن، كان هذا الصبي ابناً للآلهة، فلهذا وقبل أن يصبح عمره عدة أيام بدأ يركض ويصيح، وكان ذكياً قوياً مفعماً بالنشاط. وعندما بلغ عمره شهراً أو اثنين كان أشبه بطفل في السادسة أو الثامنة، إذ كان يتسلق إلى سطح المنزل ويركض نحو الساحة وحول القرية وهو يصطاد الطيور والحيوانات الصغيرة، مستخدماً فقط أصابعه والحجارة الصغيرة سلاحاً، ولم يفشل قطّ في صيد هذه المخلوقات الصغيرة وإحضارها إلى المنزل. لذلك امتلأ منزل والدته بريش الأضاحي أكثر من أي منزل آخر في القرية.

أخيراً، لاحظ أن الرجال في قبيلته يحملون أقواساً وسهاماً وأن تلك السهام كانت أقوى وأفضل من الأحجار التي يرميها، ومع أنه لم يفشل في اصطياد الحيوانات الصغيرة إلا أنه اكتشف أنه لا يستطيع صيد الحيوانات الأكبر حجماً بهذه الطريقة. وهكذا ذهب في إحدى الليالي إلى أمه وقال لها: «أماه، أين ينمو الخشب الذي أستطيع أن أصنع منه قوساً، ومن أين يحصلون على العصي لسهامهم؟ أتمنى لو تخبريني».

لكن والدته بقيت صامتة، ولم ترغب في إخباره، فقد خمنت أن هذا الأمر سيقوده بعيداً عن القرية وقد يقع له مكروه. إلا أنه

Twitter: @ketab_n

استمر في إلحاحه عليها حتى ضاقت ذرعاً به وقالت: «حسناً يا صغيري إذا درت حول الجرف من جهة الطرف الشرقي، فستجد حفرة كبيرة في الصخور، وفي أسفل تلك الحفرة يقع كهف عظيم. حول ذلك الكهف وبين الصخور تنمو الأشجار التي تصنع منها الأقواس، وهناك أيضاً تنمو الشجيرات التي تصنع منها السهام، وهي كثيرة لدرجة يمكن لها أن تزود المدينة بكاملها وتؤمن الأقواس والسهام لجميع الصيادين، ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلى هناك لأن في ذلك الكهف يعيش دب عظيم متوحش، ولم يجرؤ أحد على الذهاب إلى هناك للحصول على خشب الأقواس وأعواد السهام، فحتماً سيفترس الدب كل من يجرؤ على الذهاب إلى هناك. لقد التهم العديد من الأشخاص، ولذلك عليك ألا تذهب إلى هناك لتحصل على تلك السهام».

أجاب الصبي: «طبعاً بالتأكيد»، وعندما حل الليل استلقى وهو يفكر وكان مشغول البال جداً فلم ينم طوال الليل تقريباً، إذ كان يخطط لما سيقوم به في الصباح.

في الصباح التالي كانت والدته مشغولة بأعمال المنزل، وحين ذهبت إلى النبع لتجلب بعض الماء، تسلل الصبي الصغير خارجاً

Twitter: @ketab_n

من المنزل، وأسرع نزولاً على السلالم ومضى إلى ضفة النهر، ثم زحف بمحاذاة الضفة حتى استطاع الوصول إلى طرف الجرف حيث يقع الوادي الذي ينبع منه النبع المار تحت جبل الرعد. وبدأ يتسلق أعلى وأعلى حتى وصل إلى الكهف بين الصخور حول الطرف الشرقي من جبل الرعد. كان المدخل إلى الحفرة مسدوداً تماماً بالأشجار ذات الخشب الأصفر والسنديان، وفي كل مكان كانت تنمو أفضل أنواع الأخشاب لصناعة الأقواس والشجيرات الصغيرة التي تصنع منها السهام.

قال الصبي وهو ينظر حوله: «لا بد أن هذا هو المكان، أنا لا أرى أي دب. أظن أنني سأتسلق نحو الأعلى وأرى إذا كان هناك ما يخيف وأحاول أن أقطع عوداً قبل أن يخرج الدب».

وعندما بدأ بالتسلق نحو فتحة الكهف، قام والده وهو أحد آلهة المطر، بقذف برق قوي جداً، فأرعدت السماء وأغلق الكهف تماماً.

صرخ الصبي: «ما معنى هذا؟» وتوقف للحظة فانزاحت الغيوم سريعاً وفتح الكهف. وبدأ يصعد من جديد فلمع البرق مرة أخرى ليذكره بألا يدخل إلى هناك.

Twitter: @ketab_n

صرخ الصبي مرة أخرى: «ما معنى هذا؟»، وفرك عينيك اللتين كانتا تؤلمانه، وسرعان ما صفا الجوّ مجدداً، وحاول مرة أخرى وأخرى حتى المرة الرابعة.

أخيراً قال الإله: «لقد حذرته ولكن لا تبدو عليه الرغبة في الإصغاء، لذلك عليه الذهاب في طريقه الذي اختاره». وتسلق الصبي نحو الكهف.

وما إن وصل الصبي إلى هناك حتى حل الظلام، وفجأة ظهر الدب واقفاً على قائمتيه الخلفيتين وأمسك بالصبي وبدأ يعصره بشدة.

صرخ الصبي: «لا، لا تفعل هذا، هذا يؤلم! والدتي من أجمل النساء اللواتي رأيتهن في حياتك!».

فتساءل الدب: «ما هذا الذي تقوله؟».

أجاب الصبي: «والدتي من أجمل النساء اللواتي رأيتهن في حياتك!».

وأرخى الدب قبضته وهو يقول: «أحقاً! اجلس يا بني. لماذا أتيت إلى منزلي؟ أنت على الرحب والسعة».

Twitter: @ketab_n

قال الصبي: «لقد أتيت لأحصل على قطعة من الخشب لأصنع قوساً وأعواداً لأصنع منها سهاماً».

قال الدب: «لقد بحثت عن هذه الأخشاب لوقت طويل. ليس هناك أفضل منها في البلاد كلها. دعني أخبرك ماذا سأفعل. أنت لا تبدو قوياً جداً وليس لديك أي شيء لتقطع به الأشجار. سأذهب بنفسي وأقطع شجرة من أجلك وسأختار واحدة جيدة لصناعة القوس، ليس هذا فقط بل سأجلب لك أيضا أعواداً جيدة لتصنع سهامك أيضاً».

وهكذا انسلّ الدب إلى الغابة، واختار شجرة جيدة وقطعها وجذبها من أطرافها واحضرها للصبي، ثم جمع الكثير من الأعواد المستقيمة لصنع السهام وأحضرها إليه.

وقال: «هاك، خذ هذه إلى المنزل. أتعرف كيف تصنع قوساً يا بني؟».

أجاب الصبي: «لا، لا أعرف ذلك جيداً».

قال الدب: «حسناً إذاً، لقد أزلت الأطراف المروسة، وبقي أمامك أن تصنع القوس بهذا الطول. والآن خذه إلى المنزل، واسحجه من الداخل نحو الأسفل حتى يغدو

Twitter: @ketab_n

رفيعاً كفاية من كلا الطرفين ثم ضعه فوق الجمر حتى يقسو ويجف. هذه هي الطريقة لتصنع قوساً جيداً».

وأخذ الصبي حزمة العيدان ومد يده نحو القوس وقال: «حسناً، تعال عندما يحل الظلام وسأعرفك إلى أمي».

قال الدب العجوز: «حسناً، سأكون هناك عند غروب الشمس وهكذا أستطيع أن ألقي نظرة على قوسك وأرى إن كنت صنعته بشكل جيد أم لا».

وعاد الصبي مجهداً نحو المنزل وهو يحمل حزمة العيدان والقوس، فصادف والدته عند وصوله وهي تصعد نحو الخارج ورأته بدورها قادماً.

قالت الأم: «أيها الصبي الشقي، ألم أخبرك ألا تذهب إلى الكهف! ألم أحذرك من الذهاب إلى حيث يقيم الدب!».

أجاب الصبي: «أجل يا أمي، انظري ما الذي أحضرته. لقد بعتك للدب وسيكون هنا هذا المساء. انظري ماذا أحضرت!»، وأراها خشب القوس وأعواد السهام.

Twitter: @ketab_n

قالت الأم: «لا بد أنك من أشقى الصبية الصغار و أكثرهم حمقاً، أنت لا تبدي اهتماماً لما يقوله لك أحد، إن كلمات أمك ليست إلا كصوت الرياح في أذنيك».

قال الصبي: «انظري ما الذي أحضرته». وعمل بكل ما يستطيع من جهد ليصنع قوسه، ويحضر سهامه ويجعلها ملساء ومستقيمة، وأمام الموقد صنع كرات سوداء قاتمة من بقايا الرماد، وكانت حادة وقاسية جداً عندما وضعها على أسهمه. وبعد أن وضع الريش على أطراف سهامه جعلها على السطح في مواجهة ضوء الشمس حتى تجف، ووضع القوس في الجهة الأخرى لضوء الشمس ليجف أيضاً. وكان لا يزال مشغولاً بعمله عندما اقترب الغروب، نظر فرأى الدب قادماً ببطء وارتياح وهو يتدحرج فوق الرمال.

قال الصبي: «يبدو أن العجوز قادم» ومع ذلك لم يعره أي اهتمام.

وصل الدب إلى السلم وهزه ليرى إن كان قوياً كفاية ليحمله.

سأل الصبي: «هل أتيت؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب الدب: «أجل، كيف كان حالك طوال اليوم؟».

أجاب الصبي: «أنا سعيد».

سأل الدب: «كيف حال والدتك؟».

أجاب الصبي: «بخير وبانتظارك».

وهكذا صعد الدب العجوز وبينما كان يعبر حافة المنزل قال للصبي: «صحيح هل صنعت القوس؟».

أجاب الصبي: «نعم مثل الأقواس الأخرى».

وهكذا دخل الدب ووقف على قائمتيه الخلفيتين ونظر إلى القوس وشده، وبينما كان يضعه جانباً قال: «إنه قوس رائع. ما هذه الأشياء السوداء على السهام؟».

أجاب الصبي: «إنها من الرماد».

قال الدب: «هذه النقاط ليست إلا فحماً أسود».

قال الصبي: «سأخبرك شيئاً، إنها سهام بروؤس من الصوان الأسود الجيد، قاسية وحادة مثل أي سهم آخر».

فأجاب الدب: «لا، ليست سوى فحم أسود».

Twitter: @ketab_n

قال الصبي: «ما رأيك أن تدعني أجرب هذه الأسهم بالرؤوس المصنوعة من الفحم عليك».

أجاب الدب: «حسناً» ومشى نحو الطرف الآخر من السطح ووقف هناك. أخذ الصبي أحد السهام ووضعه في القوس وأطلقه، فأصاب قلب الدب مباشرة، بل اخترقه تماماً.

صرخ الدب متألماً وأصدر شخيراً عالياً وهو يتدحرج على سطح المنزل ثم مات.

ضحك الصبي عالياً وقال: «لقد فعلت بك ما كنت تنوي فعله بي. يا أماه!». صرخ الصبي منادياً أمه وركض نحو فتح السقف السماوية قائلاً: «هذا هو زوجك تعالي وانظري إليه، لقد قتلته ولو لم أفعل لجعلني عبرة للآخرين».

قالت الأم: «أيها الصبي العاق الأحمق! ما الذي تفعله! أأنت بخير؟».

أجاب الصبي: «أجل، إن زوج والدتي هامد تماماً كأنه نائم». وذهب الصبي فسلخ جلد الدب وانتزع قلبه وعلقه على قطعة متصالبة من السلم كعلامة حتى يعرف الناس أن باستطاعتهم الذهاب لإحضار ما يريدون من أخشاب الأقواس والسهام.

Twitter: @ketab_n

في تلك الليلة، وبعد وجبة العشاء، جلس الصبي مع والدته وقال لها: «بالمناسبة يا أمي، هل هناك وحوش أو كائنات مخيفة أخرى في هذه البلدة تقوم بقتل الناس وتسبب المشكلات؟».

قالت الأم: «لا، لا يوجد».

أجاب الصبي: «لا أعلم بشأن هذا الأمر، لكن أظن أنه لابدّ من أن مثل هذه الوحوش موجودة».

أجابت الأم: «لا، أنا أقول لك لا يوجد أي منها».

بدأ الصبي بالتشقلب على الأرض والتدحرج هنا وهناك وهو يعبث بملاءات أمه ويرمي الأشياء حوله، وبين فينة وأخرى ظل يكرر السؤال نفسه على والدته حتى غضبت منه في النهاية، وقالت له: «أجل إذا كنت مصراً أن تعرف، فهناك في أسفل الوادي خلف السهول الواسعة يقع وكر سحالي ميشو المخيفة التي تقتل كل من يقترب منها، ومن الأفضل لك أن تكون حذراً عندما تتنقل في الوادي».

فسأل الصبي: «ما الذي يجعلها مخيفة إلى هذه الحد؟».

Twitter: @ketab_n

فأجابت: «حسناً، إنها سامة، لديها طريقة لقذف سائل وربما غاز سام من فمها عندما يصيب الإنسان يحرقه، وإن أصاب العينين أعماهما، لقد قضى العديد من الأشخاص نحبهم هناك. ما إن يصل الرجل إلى وكرها حتى تعامله بأدب شديد وتحييه بدماثة وتقول له: «تفضل بالجلوس هنا في منتصف المكان مقابل النار. ولكن ما إن يأخذ مجلسه في منزلها حتى تتجمع حوله وتقذفه بسمها فيموت حالاً».

أجاب الصبي: «أهذا معقول؟» وبدأ يشعر بالنعاس ثم قال: «فلنأو إلى النوم يا أماه».

وهكذا استلقى الصبي ونام، وما إن ظهر ضوء النهار التالي حتى استيقظ وارتدى ثيابه وأخذ قوسه وسهامه وبينما هو يضعها قرب السلم قال لوالدته: «أماه حضري لي إفطاري فأنا أريد أن اصطاد بعض الطيور الصغيرة وأرغب أن يكون العشاء بعض العصافير المشوية».

حضرت الأم الإفطار بأقصى ما تستطيع من سرعة، ونزل الصبي السلم مسرعاً وذهب لاصطياد العصافير حتى اختفت والدته والآخرون عن نظره، عندها تسلل نحو السفوح المشجرة وذهب مباشرة نحو عرين سحالي الميشو. وهناك تصادف وجود

Twitter: @ketab_n

اثنين منها تتشمسان خارج الوكر وقالتا: «أيها الفتى الجميل، كم نحن مسرورتان برؤيتك هذا الصباح، تعال وادخل ستسرّ العجائز جداً بالتسامر معك، ادخل!».

قال الصبي: «شكراً»، ومضى إلى الداخل وهو يتأكد من وجود كتلة ملح صخرية تحت معطفه كان قد وضعها قبلاً.

قالت العجائز للصبي: «اجلس هناك»، وامتلأ الوكر بسحالي الميشو التي بدت كل واحدة منها مفرطة في الأدب.

جلس الصبي فقالت السحالي الكبيرة للأصغر منها: «أسرعن هيا الآن وبسرعة!»، وبدأوا يقذفونه بسمهم، واستمروا في ذلك حتى تغطى الصبي بالسم تماماً، ولكن لأنه عرف مسبقاً ما سيحدث ولأنه ابن الآلهة فقد كان مستعداً ومحمياً ولم يستطيعوا إصابته بأي أذى.

قال الصبي: «شكراً لكن، شكراً لكن، سأفعل المثل بكن». وأخرج الكتلة الملحية من تحت معطفه وقذفها إلى النار حيث انفجرت وقتلت جميع سحالي «الميشو» في الوكر.

صرخ الصبي: «هاكم، أصابكن ما كنتن تردن فعله بي».

Twitter: @ketab_n

وأخذ اثنتين من السحالي وانتزع قلبيهما وبدأ طريق العودة نحو المنزل. وعندما وصل إلى هناك، تسلق السلم وعلق القلبين إلى جانب قلب الدب ونزل إلى المنزل وهو يقول: «حسناً، أماه هل العشاء جاهز؟».

قالت الأم: «أنت هنا! لقد عرفت حالما شاهدتك وأنت تعلق ذينك القلبين، لقد ذهبت إلى هناك».

أجاب الصبي: «أجل وقتلتها جميعاً حتى آخر سحلية».

قالت الأم: «أيها الصبي العاق الأحمق! أنا وحيدة في هذا العالم وإذا توجب عليك أن تذهب إلى بعض هذه الأماكن المخيفة أحيانا فربما لن تعود، وعندها من سيصطاد من أجلي؟ ما الذي سأفعله عندئذ؟».

قال الصبي: «لا تجزعي يا أماه، لا أظن أني سأذهب مجدداً، فلم تعد هناك أشياء كهذه من حولنا أليس كذلك؟».

أجابت الأم: «لا، لا يوجد أي شيء، ربما كان هناك في مكان ما من العالم، ولكن هنا ليس من شيء».

Twitter: @ketab_n

في المساء، وبينما كان يأكل بصحبة والدته، استمر الصبي بسؤال أمه وامتحانها لتخبره عن بعض الوحوش الأخرى، وهو يشد طرف ثيابها مكرراً هذه الأسئلة.

قالت الأم: «أخبرتك أنه لم يعد هناك المزيد من الوحوش».

رد الصبي: «أماه، أنا أعلم أن هناك المزيد ويجب أن تخبريني عنها».

واستمر بمضايقتها حتى نفد صبرها وأخبرته عن وحش آخر قائلة: «إذا تبعت ذلك الوادي نحو الطرف الجنوبي، فهناك جرف مرتفع جداً والدرب الممتد عبر هذا الجرف يقود إلى الخطر. كان هذا المكان مرعباً لقرون طويلة، فهناك يعيش عملاق يضع عقدة من الشعر على جبينه، ويستلقي هناك مطولاً مستمتعاً بأشعة الشمس. إنه عملاق طيب ومؤدب جداً. قدماه تمتدان على طول الطريق الذي يتوجب على الرجال اتباعه لعبور تلك المنطقة، وليس من أي طريق آخر سواه. وعندما يريد أحد ما عبور هذا الطريق يقول له: «تقدم مباشرة، تقدم مباشرة أنا سعيد لرؤيتك، فما زال أثر الذي مر من هنا منذ فترة قصيرة طرياً، لا تزعجني أنا أجلس في الشمس». وفي الأسفل كان هناك الوكر حيث يعيش أولاده الذين يتغذون على لحوم هؤلاء الناس.

Twitter: @ketab_n

وتعجب الصبي: «الرحمة! هذا مخيف! لن أذهب إلى هناك أبداً بالتأكيد. هذا مريع جداً! هيا فلنذهب للنوم، لا أريد أن أسمع المزيد عن هذا».

ولكن في الصباح التالي، وما إن بزغ ضوء النهار حتى نهض الصبي وارتدى ملابسه وأكل بعض الطعام.

قالت له والدته: «إلى أين أنت ذاهب؟ هل تفكر في الذهاب إلى المكان الذي أخبرتك عنه».

قال الصبي: «لا، أنا ذاهب لاصطياد بعض كلاب المروج هنا أمام عينيك وسآخذ عدة القتال معي».

وهكذا أخذ عدة الحرب ووضعها في حزامه وركض هابطاً التل الذي تقوم عليه القرية، وذهب مباشرة إلى المكان الذي أخبرته عنه والدته. وعندما وصل إلى قمة الصخور نظر إلى الأسفل فشاهد هناك العملاق وعقدة الشعر على جبينه.

نظر العملاق إلى الأعلى وقال: «يا ولدي، كم أنا سعيد برؤيتك في هذا الصباح، ومسرور لقدومك مبكراً هكذا. لقد عبر أحدهم قبل قليل وبإمكانك أن ترى آثاره هناك».

Twitter: @ketab_n

قال الصبي: «حسناً إذن، أفسح مكاناً لي».

قال العملاق: «تستطيع العبور فوقي، تستطيع العبور فوقي».

أجاب الصبي: «لا أستطيع العبور فوق ساقيك الكبيرتين، أبعدهما».

قال الشيطان العجوز وهو يسحب ركبتيه نحو الأعلى: «حسناً، الآن هناك مكان لك، تقدم مباشرة، هيا يا ولدي».

وبينما كان الصبي يهم بالعبور دفع العملاق إحدى ساقيه فجأة باتجاهه ليوقعه من على الجرف، ولكن الصبي كان يقظاً تماماً وقفز بعيداً.

صرخ الوحش: «لقد أصبت بوخزة في ساقي وكان علي أن أرخيها».

أجاب الصبي: «لقد حاولت دفعي من فوق الجرف، أليس كذلك؟».

قال الوحش العجوز وهو يشد على ركبته بعنف: «لا، لقد أصبت بوخزة قوية في ركبتي، اعبر مباشرة أنا متأكد أن هذا لن يحدث مرة أخرى».

Twitter: @ketab_n

هم الصبي بالعبور مرة أخرى، وحدث الأمر مرة أخرى كما في السابق.

وصاح الوحش: «ركبتي، ركبتي!».

أجاب الصبي: «أجل، ركبتك، ركبتك!» قال هذا وهو يخرج عدة القتال الخاصة به ويضرب العملاق على رأسه قبل أن يتسنى له الوقت لتمالك نفسه. ثم قال: «لقد أصابك ما كنت تنوي فعله بي!».

وما أن سقط العملاق حتى تجمع الصغار حوله وبدأوا بالتهامه، وأكلوا وأكلوا، كان هناك الكثير منهم وكانوا شرهين للغاية، حتى وصلوا إلى العقدة التي على جبينه وعندها صرخ أحدهم: «وأسفاه، وأسفاه كان هذا والدنا».

وبينما كان الصغار يبكون انتزع الصبي قلب العملاق ووضعه على كتفه وتسلق الجرف إلى حيث يوجد أبناء العملاق وذبحهم جميعاً ما عدا اثنين منهم ثم أمسك بهذين الاثنين، اللذين كانا لا يزالان صغيرين مثل الأطفال الصغار، وأمسك بأحدهما ولوى رقبته وقذف به في الهواء، وعندها أصبح كائناً مجنحاً وبسط جناحيه وطار بعيداً وهو يصيح: «بيب، بيب،

Twitter: @ketab_n

بيب» مثلما تفعل صقور هذه الأيام. ثم أمسك الآخر من رقبته ولوّح به مراراً ثم قذفه الهواء حيث طار بعيداً وهو متثاقل وهو يصيح: «بوهو، بوهو، بوهو!». أصبح بوماً.

قال الصبي: «ولدتما من أحضان الشر وتحولتما إلى الخير! ستكونان الأضاحي التي سيقدّمها أطفال المستقبل للآلهة».

وعاد أدراجه نحو المنزل حاملاً قلب العملاق، وعندما وصل إلى هناك كان الظلام قد حل وعلق القلب على القطعة المتصالبة إلى جانب القلوب الأخرى.

قالت والدته وهو يدخل إلى المنزل: «ها أنت ذا! لقد قلقت عليك بشدة عندما لم تعد إلى المنزل مبكراً، لقد ذهبت إلى المكان الذي أخبرتك عنه، أعلم أنك فعلت!».

قال الصبي: «أجل، ذهبت إلى هناك والمساكين الذين هناك ماتوا جميعاً».

قالت الأم: «لماذا لا تستمع إلي».

قال الصبي: «كل شيء على ما يرام يا أمي، كل شيء على ما يرام» ولكنها استمرت بتوبيخه كالعادة، وكالعادة لم يعرها اهتماماً.

Twitter: @ketab_n

وما إن أنهت مهماتها المسائية حتى سألها الصبي: «هل هناك المزيد من هذه الكائنات المرعبة؟».

قالت الأم: «»كلا، لن أخبرك بأي شيء بعد الآن».

فسأل الصبي: «لماذا، أهناك المزيد؟».

أجابت الأم: «كلا، لا شيء هناك».

قال الصبي: «أماه أظن أن هناك المزيد».

قالت الأم: «لا، أنا أقول لك أنه لا يوجد شيء آخر».

رد الصبي: «أماه أظن أن هناك المزيد».

وظلّ على هذه الحال من إزعاجها ومضايقتها حتى أخبرته ثانية (كانت تعلم أن عليها أن تخبره): «أجل بعيداً في أسفل الوادي، بعيداً بعض الشيء من هنا، بالقرب من هضبة البرد، يعيش كائن مخيف، ظبي أو ثور بأربع طبقات، أضخم من أي كائن حي آخر ويدعى أويتيلي وأكاشي لا يستطيع أحد الاقتراب منه، فهو يضرب في الأرض مسرعاً بحوافره، ويخور في طول البلاد وعرضها فلا يستطيع أحد عبور المنطقة التي يعيش فيها خوفاً منه.

Twitter: @ketab_n

قال الصبي: «لا تخبريني بالمزيد، لابد من أنه مخلوق مخيف حقاً».

قالت الأم: «أجل، ولكنك ستذهب إلى هناك حتماً».

أجاب الصبي: «لا ، لا يا أماه، لن أفعل حقاً».

ولكن في الصباح التالي ذهب أبكر من عادته وهو يحمل قوسه وسهامه. كان ممتلئاً بالجرأة ومع ذلك بدأ يبكي ويتنهد، أو لعله تظاهر بذلك، وهو يتبع الأثر ويمشي ببطء شديد حتى اقترب من جحر خلد عجوز، جده. وكان الخلد العجوز يعمل بعيداً وهو يحفر جحراً آخر، مخرجاً التراب منه، عندما سمع بكاء الصبي، فقال: «هذا هو حفيدي، إني أتساءل ما الذي يخطط له الآن». ثم أخرج أنفه من الجحر وركض قائلا للصبي: «يا حفيدي الصغير ما الذي تنوي فعله؟».

توقف الصبي وبدأ ينظر حوله.

نادى الخلد العجوز وهو يحاول لفت نظره للحفرة: «هنا، هنا، تعال يا صغيري».

Twitter: @ketab_n

وما إن وضع الصبي قدمه في الحفرة حتى اتسعت ونزل فيها.

قال الخلد العجوز: «والآن جفف دموعك يا صغيري وأخبرني ما الأمر؟».

قال الصبي: «حسناً أنا أبحث عن الثور ذي الطبقات الأربع، أريد أن القي نظرة عليه ولكني خائف!».

قال الخلد: «لماذا؟ لماذا تريد الذهاب إلى هناك؟».

أجاب الصبي: «سأقول لك الحقيقة، لقد فكرت في محاولة قتله».

أجاب الخلد: «حسناً، سأفعل ما بوسعي لمساعدتك، فمن الأفضل ألا تحاول القيام بهذا وحدك. اجلس واسترح هنا وجفف دموعك وسأرى ما أستطيع فعله».

بدأ الخلد العجوز بالحفر تحت الأرض لمسافة بعيدة صانعاً نفقاً جيداً، ودعمه جيداً من الأعلى والأطراف حتى لا ينهار. وأخيراً وصل إلى حيث استطاع أن يسمع دقات قلب هذا المخلوق حيث كان مستلقياً. حفر الخلد حفرة في تلك البقعة تماماً وعندما خرج رأى طبقات الشعر الطويل التي تغطي

Twitter: @ketab_n

جسده بحيث لا يستطيع أي سهم اختراقها، فقام بقص ذلك الشعر بحيث ظهر الجلد الأبيض، ثم تسلل بصمت إلى حيث ترك الصبي وقال: «الآن يا بني، خذ قوسك وسهامك وامض على طول هذه الحفرة حتى تصل إلى حيث يصعد النفق نحو الأعلى، وهناك إذا نظرت جيداً سترى بقعة فاتحة. إنها جلد ذلك الثور ذي الطبقات الأربع، الملاصق لقلبه. إنه نائم هناك وستسمع دقات قلبه. صوب تماماً في منتصف ذلك المكان، ثم استدر وانج بحياتك، وفي اللحظة التي ستصل فيها إلى جحري، ادخل برأسك أولاً أو بأي طريقة».

وهكذا قام الصبي بما قيل له، زحف في النفق حتى وصل إلى حيث اتجه النفق نحو الأعلى، ورأى البقعة الفاتحة فأرسل سهماً بكل قوته وعاد بأسرع ما يستطيع من عزم.

سقط الثور وهو يخور خواراً هز الأرض، ثم نهض على قوائمخ وضرب الأرض بحوافره وخار ثم حشر قرنه الكبير في النفق ومثل لمح البصر انتزع النفق حتى نهايته في اللحظة التي تدحرج فيها الصبي داخل الجحر العميق للخلد العجوز.

تساءل الخلد: «ماذا حدث».

Twitter: @ketab_n

قال الصبي: «كاد أن يمسك بي».

قال الخلد: «اجلس ساكناً واسترح يا صغيري، لم يستطع الإمساك بك سأذهب وأرى إن كان قد مات».

أخرج الخلد أنفه من الحفرة ورأى كومة كبيرة من اللحم على الأرض، خرج وتجول حولها وشمها وقفز إلى الأمام والخلف ودار حولها حتى وصل إلى نهاية المخلوق وعندها أخرج أحد أظفاره وخدش عينه ولم تكن هناك أي علامة من علائم الحياة، فعاد راكضاً إلى الصبي وقال: «أجل إنه لا يتنفس، لست بحاجة إلى أن تخافه بعد الآن».

قال الصبي: «شكراً لك، أيها الجد العجوز».

تسلق الصبي إلى الخارج، وأجهد نفسه وهو يسلخ جلد الوحش، أخذ الصبي جلده الثخين الكبير وقص قطعة مناسبة منه حيث كان الحزام كبيراً وثقيلاً وكاد ألا يستطيع حمله، ثم انتزع قلب الحيوان وأحد أمعائه وهمّ بالعودة إلى بيته. سار ببطء بسبب حمله الثقيل وعندما وصل علق القلب على السلم إلى جانب القلوب الأخرى، وجر جلد الحيوان نحو كوة السقف وكاد أن يخرج أمه عن طورها من الفزع عندما أسقطه إلى داخل الغرفة.

Twitter: @ketab_n

نادت الأم: «يا ولدي ها أنت ذا، أين كنت؟ لقد حذرتك من الذهاب إلى حيث يعيش هذا الثور وكنت أتساءل ما إذا كنت ستعود إلى المنزل».

قال الصبي: «لقد مات المخلوق المسكين، انظري إلى هذا لم يعد مهيباً ولا قوياً وكبيراً بعد الآن».

قالت الأم: «أيها الصبي الشقي، ستكون السبب في موتي وموتك يوماً ما».

قال الصبي: «لا يا أمي، هذا هراء».

في ذلك المساء قال الصبي لوالدته: «أماه أهناك شيء آخر من هذا النوع؟ أريد أن أعرف، أرجوك لا تخيبي أملي برفضك إخباري».

قالت الأم: «يا ولدي العزيز، أتمنى ألا تسألني عن هذه الأشياء، ولكن يوجد المزيد. فهناك طيور مرعبة، نسور عظيمة ومخيفة، تعيش في شونتكيا. في منتصف الجرف العميق هناك فراغ بين الصخر حيث تبني أعشاشها وتؤوي صغارها. يوماً بعد يوم تمسك هذه النسور الأطفال الصغار واليافعين، من كل حدب وصوب وتحملهم بعيداً، إلى حيث لا يعودون أبداً. هذه

Twitter: @ketab_n

الطيور مرعبة أكثر من بقية الكائنات، فكيف ستستطيع الاقتراب منها لتقتلها؟ يا ولدي، أتمنى أن أثق بك هذه المرة فلا تذهب إلى هناك، ولكن أيها الصبي الصغير الأحمق، يبدو أنك تنوي الذهاب».

قال الصبي: «حسناً يا أمي، دعينا نخلد للنوم ولا تقلقي بشأن أي شيء».

ولكن بعد أن نامت والدته، اخذ الصبي الجلد الذي سلخه من الثور وقصه وصنع منه رداء لنفسه، رداء أخضر من الجلد غير المدبوغ على مقاسه تماماً، لذلك كان أملس للغاية. ثم مشط الشعر الذي عليه ومسّده بالزيت وأزاحه بعيداً داخل ملاءة حتى لا يجف. في الصباح، مبكراً جداً أخذ أسلحته ورداءه الجلدي والأمعاء التي غمّسها بدم الثور وأسرع إلى المدخل وعبره، فتسلق الجبل قرب جرف شونتيكا، وعندما أصبح على مسافة قريبة من أعشاش النسور توقف ولبس رداءه الجلدي ولف أمعاء الثور المليئة بالدم حول عنقه كأنها نقانق.

ثم بدأ يصرخ ويهز رأسه، وينادي بصوت أعلى مما يحتاج إليه في الحقيقة، حتى سمعه الجد الأكبر للنسور، الذي كان بعيداً في أعالي السماء فرآه وسمعه وبدأ يهبط نحوه في دائرة

Twitter: @ketab_n

كبيرة ويلف حول الصبي الذي نظر نحو الأعلى وبدأ بالصراخ بصوت أعلى كأنه كان خائفاً جداً وأخيراً لف نفسه كالشيهم وألقى بنفسه على الطريق وهو يبكي وينوح بخوف ظاهر. انقض النسر عليه محاولاً الإمساك به بين مخالبه ولكن يا للمفاجأة انزلقت مخالبه من فوق المعطف الجلدي، نظر النسر إليه بضراوة وبدا عليه الغضب، ولكن مخالبه كانت تنزلق باستمرار، حتى استطاع تمزيق طرف الأمعاء التي لفها الصبي حول عنقه وبدأ الدم يتدفق فوق معطف الفتى جاعلاً منه أملس أكثر من ذي قبل، وعندما اشتم النسر رائحة الدم ظن أنه تمكن منه مما جعله أكثر ضراوة من قبل. وأخيراً وخلال الصراع تمكن من إدخال أحد مخالبه في المعطف وعندها بسط جناحيه وطار نحو الأعلى ودار مراراً حول البقعة التي تحتوي أعشاش النسور الصغار، ثم أفلت الصبي الذي تدحرج حتى وصل إلى العش، ولكنه سقط على كومة كبيرة من الأعشاب والتي خففت من قوة سقوطه. استلقى هناك ساكناً تماماً ونزل النسر الكبير ووقف على صخرة كبيرة قريبة والتي كانت موضعه المعتاد.

قال النسر: «هيا يا أطفالي لقد جلبت لكم الطعام، تناولوا وليمتكم! أطعموا أنفسكم! فلأجل هذا اقتنصت لكم الطعام».

Twitter: @ketab_n

وهكذا اندفعت النسور الصغيرة، التي كان شكلها غريباً، بأجنحتها القصيرة وأرجلها طويلة، بالقفز نحو الصبي، مادة مخالبها وفاتحة مناقيرها استعداداً لضربه على وجهه، فبقي مستلقياً هناك في هدوء تام حتى أصبحت قريبة جداً منه وعندها قال لها: «شششش»، مما جعلها تتراجع إلى الخلف مذعورة، ولأنها كانت صغيرة فقد مدّت رقابها ونظرت إليه كما تفعل النسور.

عندها قال النسر العجوز: «لماذا لا تأكلونه يا أطفالي؟ تناولوا وليمتكم! أطعموا أنفسكم!».

فتقدم الصغار نحوه ثانية، ولكن بحذر أكبر هذه المرة، وبإصرار أكبر أيضاً ومدت مناقيرها لتمزق لحمه، فقال مرة أخرى من بين أنفاسه: «شششششش، لا تأكليني!»، فارتدّت إلى الخلف ثانية.

قال النسر العجوز: «ماذا أصابكم أيها الصغار الحمقى؟ كلوه! لا أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك، فعليَّ أن أذهب بعيداً لأصطاد طعامكم، ولكن يبدو أنكم لا تقدرون الجهود التي أبذلها من أجلكم». ثم رفع جناحيه وارتفع عالياً في الهواء نحو الشمال.

Twitter: @ketab_n

فبدأ اثنان من النسور الصغار بالمشي حول الصبي وتفحصه من جميع الاتجاهات، ثم أخيراً اقتربوا من يديه وقدميه.

قال الصبي وهو يجلس: «كونوا حذرين، لا تأكلوني! أخبروني متى تعود أمكم إلى العش؟ في أي وقت ترجع عادة؟».

أجاب النسور الصغار: «حسناً، إنها تعود للمنزل عندما تبدأ الغيوم بالتجمع فترمي بظلها على العش». (في الحقيقة كان الظل المنبسط فوق العش هو للنسر الأم نفسها).

قال الصبي: «حسناً جداً، ومتى يعود والدكم إلى المنزل؟».

أجابت النسور: «عندما يبدأ المطر الناعم بالسقوط» (يقصدون الندى).

جلس الصبي هناك، وقليلاً قليلاً لاحت النسر الأم في السماء البعيدة وهي تحمل شيئاً متدلياً بين قدميها، ودارت حول العش حتى أصبحت فوقه وألقت بحملها الذي تدحرج حتى استقر في العش، كانت فتاة جميلة ميتة. نظر الصبي إليها واشتعل قلبه غضباً وعندما حطت النسر الأم، في لمح البصر أطلق سهماً أصابها في رأسها وحطم دماغها.

Twitter: @ketab_n

ضحك الصبي وقال: «أصابك مثل ما فعلت للكثيرين».

ثم أخذ موقعه مرة أخرى، ورويداً رويداً عاد النسر الأب، حاملاً شاباً يبهج النظر، وألقاه في العش، صك الصبي أسنانه وقال: «ما ألحقته بالكثيرين وكدت أن تفعله بي، سيصيبك الآن». وسحب سهماً وأصاب به النسر الأب، ثم التفت إلى النسرين الصغيرين وقتلهما وانتزع كل الريش الجميل حول رقابهما، حتى حصل على حزمة كبيرة من الريش الجيد، التي كان ينوي استخدامها في سهامه أو تسبيح صلواته.

نظر من أعلى الجرف ورأى أنه لا يوجد طريق نحو الأسفل ولا نحو الأعلى، وعندها بدأ بالبكاء، وجلس على حافة الجرف، وصرخ عالياً حتى سمعته أنثى الوطواط العجوز والتي كانت تجمع ثمار الصبار في الأسفل، أو ظنت أنها سمعته.

قالت: «استمعوا لهذا، أظن أنه حفيدي الأحمق والذي يحاول دائماً أن يوقع نفسه في المآزق، لابد من أنه هو».

أوقعت الثمرات التي جمعتها من السلة على ظهرها وشقت طريقها بصعوبة نحو الأعلى حتى تستطيع أن ترى من فوق الحافة.

Twitter: @ketab_n

قالت: «ها أنت ذا، أيها المغفل، أيها الصبي الشقي! ماذا تفعل هنا؟».

قال الصبي: «يا جدتي لقد دخلت إلى مكان لا أستطيع الخروج منه».

أجابت: «أجل، لو لم تكن حفيداً أحمق وصبياً شقياً قاسي القلب لكنت ساعدتك على النزول من هناك، ولكنك لم تستمع قط إلى ما تقوله والدتك أو جدتك أو جدك».

أجاب الصبي: «يا جدتي، سأفعل ما تقولينه هذه المرة».

قال الجدة: «حقاً ستفعل؟ هل أنت متأكد؟ ستعدني بأن تبقي عينيك مغمضتين وستشاركني في الصلاة التي ستتلوها من قلبك على الأقل، بينما نطير نحو الأسفل؟ لا تفتح عينيك أبداً وإذا فعلت فستلقنك الآلهة درساً أنت وجدتك العجوز أيضاً».

قال الصبي: «سأفعل كما تقولين لي». ونهض وتشبّث بريشها واستعد للطيران.

قالت الجدة: «ليس بهذه السرعة يا بني، عليك أن تعدني أولاً».

قال الصبي: «يا جدتي، سأفعل كما قلت تماماً».

Twitter: @ketab_n

قالت الجدة: «اركب ظهري بحذر شديد، وبينما أمضي نحو الأسفل وأنا أصلي، معتمدة على الآلهة في مساعدتي على حمل ثقل أكبر بكثير مما أحمله عادة، إياك وفتح عينيك و لا حتى مرة واحدة».

قال الصبي: «حسناً سأبقي عيني مغمضتين طوال الوقت». وهكذا جلس الصبي وأغلق عينيه وتشبّث بالريش، وعندها بدأت الجدة بالطيران باستخدام أجنحتها الرفيعة، وبعد أن ناضلت لفترة بدأت بالغناء.

قال الصبي: «استمعوا لهذا، إن جدتي العجوز تغني واحدة من تلك الصلوات المملة، سيستغرق النزول إلى الأسفل وقتاً طويلاً».

وعادت الوطواط العجوز للغناء ثانية وهي لا تدري بماذا يفكر الصبي.

قال الصبي في نفسه: «ها هي تبدأ ثانية، يجب أن أنظر نحو الأعلى، سيدفعني الجلوس هنا كل هذا الوقت وأنا أستمع لجدتي العجوز تحاول الغناء، للجنون».

وبعد فترة قصيرة بدأت الغناء من جديد.

Twitter: @ketab_n

تمطى الصبي نحو الأعلى وقال: «استمعي يا جدتي! لقد سمعت ما يكفي من غناءك، سأفتح عيني الآن».

قالت الجدة: «إياك أن تفكر في هذا يا حفيدي الصغير»، ثم بدأت الغناء من جديد.

ولم تكن قد اقتربت من الأرض بما يكفي عندما أنهت غناءها للمرة الرابعة، ولم يعد الصبي يتحمل ذلك أكثر، ففتح عينيه، وعرفت الجدة العجوز ذلك فوراً.

بدأ الاثنان بالتدحرج والتشقلب نحو الأسفل، الصبي فوق الوطواط حيناً والوطواط فوق الصبي حيناً آخر والسلة بينهما، كانت الجدة تجر سلتها وتوبخ الصبي بقولها: «أيها الصبي الأحمق العاق! لقد أخبرتك ما سيحدث أترى ما الذي فعلته!» واستمرت في تأنيبه حتى وقعا على الأرض. كاد أنفاس الصبي أن تنقطع من هول الصدمة، وصرخ بعنف عندما ارتطم بالأرض.

استجمعت الجدة العجوز نفسها، وتمطت ووبخت الصبي مرة أخرى: «أيها الصبي الشقي الأحمق قاسي القلب، لن أفعل أي شيء من أجلك مرة أخرى، أبداً، أبداً، أبداً».

قال الصبي: «أعلم يا جدتي، ولكنك استمررت في الغناء

Twitter: @ketab_n

كثيراً، لماذا أردت أن تمضي كل هذا الوقت في الغناء والغمغمة بهذا الشكل؟»

قالت الجدة: «يا ويلي، لن يعرف شيئاً أبداً، ولن يتعلم شيئاً بالمرة».

ثم قالت للصبي: «بإمكانك أن تأتي وتأكل معي، لقد كنت أجمع بعض ثمار الصبار، تعال وكل ثم عد إلى المنزل». وأخذته إلى حيث أوقعت ما بسلتها من محتويات، ولكن لم يكن هناك إلا القليل جداً من ثمار الصبار. كان هناك ثمار السدر، والأكواز والأعواد وكرات التراب الصغيرة، وثمار القيوط، وما عدا ذلك كان لا يؤكل.

قالت الجدة: «اجلس يا حفيدي وكل واستعد قوتك بعد مغامراتك المتعددة فأنت مجهد، أنا أشعر بالتعب أيضاً». ثم أخذت قضمة من أحدها، ولكن الصبي لم يستطع أن يجبر نفسه على الأكل. الحقيقة أن عيني المرأة العجوز لم تكونا بحال جيدة، مثل حال جميع عيون الوطاويط ولم تكن تستطيع التمييز بين ثمار الصبار وأي شيء آخر مدور وخشن.

قالت الجدة: «لا أفهم لماذا لا تأكل يا حفيدي، فهذي ثمار جيدة

Twitter: @ketab_n

جداً، يبدو لي أنه من الأفضل أن تسرع بالعودة إلى البيت، وإلا فإن أمك ستموت من كثرة قلقها عليك. لدي نصيحة واحدة أعطيك إياها على الرغم من أنك لا تستحقها، إلا أني سأقدمها لك، احرص عليها، وإلا فالأسوأ هو من نصيبك. لقد جمعت مخزوناً جيداً من الريش الجميل، لذا كن حذراً جداً. فهذه المخلوقات صاحبة هذا الريش اكتسبت حياتها من خلال القضاء على حياة آخرين، ولهذا فإن ريشها يختلف عن غيره. انتبه إلى ما أقوله، عندما تصل إلى أي مكان تزهر فيه الورود، إلى حيث تملأ أزهار عباد الشمس الحقل باللون الأصفر، امش حول هذه الأزهار إذا أردت أن تصل إلى البيت مع هذا الريش، فإذا صادفك مزيد من الأزهار در حولها، إن لم تفعل كما أقول، فستعود إلى منزلك خاوي الوفاض كما جئت».

قال الصبي: «حسنا يا جدتي». وبعد أن ودعها شق طريقه مع حزمة الريش التي يحملها، وعندما وصل إلى سهل كبير من أزهار عباد الشمس والأزهار الأخرى، مشى من حوله، ولما صادفه سهل آخر مشى من حوله، ثم آخر، وهكذا، ولكنه توقف أخيراً، فقد بدا له أن الطريق إلى المنزل كله حقول من الأزهار. وظن أنه لم ير الكثير منها من قبل.

قال الصبي: «لقد قررت ألا أمشي حول هذه الأزهار بعد الآن، وسأتعلق بهذا الريش رغم ذلك».

Twitter: @ketab_n

وأمسك الحزمة جيداً ومشى بين الأزهار، ولكنه ما إن دخل إلى الحقل حتى بدأت أجنحة صغيرة تطير من حزمة الريش، وبدأت الحزمة تصغر أكثر فأكثر، حتى اختفت تماماً. هذه الأجنحة التي طارت من الحزمة كانت أجنحة طيور الصيف المقدسة، التي عادت للحياة بفعل حيوات الأشخاص التي أعالت تلك الطيور صاحبة الريش، فانتعشت عند دخولها إلى البيئة التي كانت تحبها كثيراً، وبالجو الذي تجلبه عادة الزهور في الصيف.

وهذا ما حدث يا أطفالي، في زمن الأقدمين، ولهذا السبب أصبح لدينا طيور أبي زريق الصغيرة، وعصافير الدوري، والحساسين الصغيرة وطيور الصفصاف وجميع الطيور الصغيرة الجميلة التي تحضر لنا الصيف وتحوم حول الأزهار طوال الوقت.

يقول الراوي: «يا أصدقائي، هذه هي الطريقة التي نحيا بها، أنا مبتهج جداً وإلا ما كنت لأحكي هذه القصة لو لم يكن ذلك صحيحاً، تنتابني السعادة بأن أخبركم أن لدينا كتباً أيضاً، ولكنها ليست كتباً ذات علامات في طياتها، بل هي كلمات في قلوبنا وضعها أجدادنا منذ القدم، حين كان العالم يافعاً وجديداً مثل

Twitter: @ketab_n

ثمرة غير ناضجة. وأنا أحب أن تعرفوا هذه الأشياء لأن الناس يقولون إن قوم زوني كانوا يعيشون في الظلام[1]...

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

(1) أي ليس لديهم أي معرفة (م).

ثعبان البحر

ملاحظة: لم يكن مسموحاً لكاهن كياكلوا أو كاهن الطقوس الملحمية في زوني أن يستهل طقوسه بسرد قصص التراث الشعبي القصيرة، وإذا أقدم على ذلك فعليه أن يستكمل رواية جميع القصص قبل أن ينهي طقوسه وإلا فقد مستمعوه انتباههم. والقصة التالية رواها مرافق هندي (لم يكن كاهناً) وكان اسمه ياهوسيوا.

بدأ قصته بالقول: «فلنبق بصحبة الأقدمين هذه الليلة».

فأجابه المستمعون: «حسناً فليكن».

في زمن أجدادنا القدماء، وعند سفح جبل الرعد كانت هناك قرية تدعى كياكيم (منزل الصقور)، التي اندثرت الآن، إذ اختفت سقوف منازلها وانهارت سلالمها وانطفأت مواقدها. ولكنها عندما زهت بأحسن أحوالها، إبان حياتها الأولى، فقد عاشت فيها عذراء جميلة غريبة الأطوار، وكانت ابنة كبير

Twitter: @ketab_n

الكهنة. وكان هناك نبع ماء مقدس عند سفح المرتفع الذي تقع عليه البلدة، ويدعى اليوم حوض قطاع الطرق، إلا أنه في تلك الأيام كان مكرساً لعبادة (كولويشي) أو ثعبان البحر. وعند هذا النبع تبدت غرابة أطوار الفتاة، فقد كانت مولعة بنظافة نفسها وملابسها، ولم تكن قادرة على تحمل اصغر البقع أو الأوساخ من الغبار أو التراب على ثيابها أو جلدها، وهكذا أمضت أغلب وقتها في الاستحمام في مياه ذلك النبع وغسل كل ما تستعمله.

ولأن هذه المياه مكرسة لثعبان البحر، فلم يكن مسموحاً استعمالها بهذه الطريقة، وكما هو متوقع استشاط (كولويشي) غضباً بسبب انتهاك الفتاة لحرمة المياه المقدسة، وقال: «لماذا تقوم تلك الفتاة بانتهاك حرمة مياه ينبوعي المقدس بقاذورات ثيابها وجسدها؟ لا بد من إيقافها عند حدّها» وهكذا دبر خطة لمنع هكذا انتهاك ومعاقبة مرتكبته.

فلما عادت الفتاة ثانية إلى النبع، شاهدت طفلاً صغيراً جميلاً جالساً في المياه، يرشها حوله مبتسماً وهو يضحك بعذوبة كهديل سرب من الحمام. كان هذا الطفل ثعبان البحر متلبساً هيئة طفل، لأنه وكما تعلمون فإن الآلهة تستطيع اتخاذ أي شكل ترغب فيه. وهكذا جلس الطفل هناك، يضحك ويلعب بالماء، بينما نظرت

Twitter: @ketab_n

الفتاة حولها في جميع الاتجاهات، الشمال والجنوب والشرق والغرب، فلم تستطع رؤية أحد، ولا أن تستدل على أثر قد يدل على الشخص الذي أحضر هذا الطفل الصغير الجميل. فقالت لنفسها: «أتساءل طفل من هذا! يبدو انه لأم قاسية ولئيمة، هجرته وتركته هنا ليموت، وهذا الطفل الصغير المسكين لا يعلم أنه قد تُرك وحيداً، يا له من صغير مسكين! سآخذه وأعتني به».

تحدثت الفتاة برقة إلى الطفل الصغير، وأخذته بين ذراعيها وصعدت به نحو منزلها، ثم تسلقت السلم وحملت الصغير إلى غرفتها حيث تنام. إذ دفعتها غرابة أطوارها وكراهيتها للغبار والأوساخ، للانعزال عن باقي أفراد عائلتها في غرفة أعلى من جميع الغرف الأخرى.

كانت مسرورة جداً بهذا الطفل. وما إن دخلت إلى غرفتها حتى جلست على الأرض، وبدأت تلعب معه وهي تضحك من حركاته وتبش في وجهه، فكان يجيبها بطريقة الأطفال بهديل وابتسامة حتى امتلأ قلبها بالحب والسعادة. وهكذا انشغلت به لفترة طويلة فلم تدرك مرور الوقت.

في تلك الأثناء، وفيما هم ينتظرون عودة الأخت الكبرى قامت الأخوات الأصغر بإعداد الطعام.

سألت إحداهن: «أين يمكن أن تكون؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب الوالد الشيخ: «لعلها في الأسفل عند النبع، حيث تستحم وتغسل ثيابها كعهدها دائماً، فلتذهب إحداكن وتناديها».

ركضت الأخت الصغرى إلى النبع، فلم تعثر لها على أثر هناك. لذلك تسلقت السلم نحو الغرفة الخاصة بأختها الكبرى، وهناك وجدتها ـ كما أسلفنا القول ـ تلعب مع الطفل الصغير. فعادت مسرعة لتخبر أباها بما رأته، لكن الشيخ جلس صامتاً، غارقاً في التفكير. كان يعلم أن مياه الينبوع مقدسة. وفيما تحمس بقية أفراد العائلة وركضوا لرؤية تلك الأعجوبة الجميلة، صرخ الأب فيهم قائلاً: «عودوا! عودوا! لماذا تجعلون من أنفسكم حمقى؟ أتعتقدون حقاً أن هناك أماً تستطيع ترك طفلها في مياه هذا النبع أو غيره؟ هناك شيء ذو معنى أعمق يتجاوز ما نراه ماثلاً أمامنا!»

لكنهم ذهبوا ونادوا على الفتاة كي تنزل وتتناول الوجبة المعدة من أجلها، فلم يفلحوا في إغراءها بترك الطفل وحده.

فقال الأب: «أترون! كما توقعت، لن تقوم أي امرأة بترك طفل تحت أي إغراء، فما بالكم إذا كان طفلها».

Twitter: @ketab_n

وأخيراً نام الصغير، ووضعته الفتاة في السرير، ثم شعرت بالنعاس هي أيضاً واستلقت بجانبه وغرقت في النوم. كان نومها حقيقياً بينما تظاهر الطفل بالنوم، ثم استطال تدريجياً حتى عاد إلى طبيعته، كحلم مرعب وشيك التحقق، وسرعان ما ظهر كثعبان بحر عملاق ولف نفسه حول الغرفة مراراً وتكراراً حتى امتلأت بحراشف ودوائر لمّاعة. ثم وضع رأسه بجانب رأس الفتاة وأحاطها بحراشفه واضعاً ذيله في فمه.

انقضى الليل وحل الصباح وتم إعداد الفطور، ومع ذلك لم تنزل الفتاة، ونفذ صبر الشقيقات الأصغر من تأخرها، فقال الشيخ: «بما أن لديها ذلك الطفل لتلعب معه فلن تهتم بشيء آخر. إنه يكفي للاستحواذ على اهتمام أيّ امرأة».

ولكن الأخت الصغرى أسرعت إلى الغرفة ونادت على أختها، وعندما لم تتلق أي جواب، حاولت أن تفتح الباب، ولكنها لم تستطع تحريكه، لأن حراشف ثعبان البحر قد ملأت الغرفة وضغطت على الباب. دفعت الأخت الصغرى الباب بكل قوتها ولكنه لم يتحرك قيد أنملة، ونادت على أختها مراراً ولم تسمع جواباً. وبدأ الخوف يساورها وهي تركض نحو كوة السقف حيث تركت الأخريات وصرخت طالبة النجدة.

Twitter: @ketab_n

انضموا إليها جميعاً بسرعة، ما عدا الشيخ، و معاً استطعن تحريك الباب فلمحن حراشف الثعبان بطياتها العديدة، وعندها ركضت النسوة جميعاً وهن يصرخن مناديات على الوالد الشيخ، الذي كان حكيماً وكاهناً فأسكتهن بقوله: «لقد توقعت شيئاً كهذا منذ الوهلة الأولى، فمن المستحيل كما قلت في حينها أن تكون هناك امرأة حمقاء لدرجة أن تترك طفلها يلعب بقرب مياه الينبوع، ومع ذلك يبدو ممكناً أن يكون أحدهم بالغ الحمق فيندفع لأخذ طفل بين ذراعيه عثر عليه بهذا الطريقة».

وبعدها خرج الوالد العجوز من المنزل، بدا متروياً وهو يفكر، رغم أنه في قرارة نفسه كان غاضباً من ابنته الكبرى. صعد إلى غرفتها ودفع الباب ونادى على ثعبان البحر: «يا كولويشي! إنه أنا من يتحدث إليك، يا ثعبان البحر أنا كاهنك. أتوسل إليك أن تدع طفلتي تعود إلي من جديد وسأكفر عن أخطائها، أطلق سراحها رغم أنها كانت حمقاء جداً، فهي لك وملكك وحدك. ولكن دعها تعود إلينا مرة أخيرة حتى نعظم كفاراتنا لك أكثر وأكثر». هكذا ناشد الكاهن ثعبان البحر.

وعندما أنهى الكاهن حديثه أرخى ثعبان البحر العظيم من قبضته وما إن فعل حتى اهتز المنزل بكامله بعنف فأحس جميع القرويون بما حدث وارتجفوا بخوف.

Twitter: @ketab_n

استيقظت الفتاة على الفور وصرخت مناشدة أباها أن يساعدها.

كانت تصرخ: «أبتاه تعال وحررني! تعال وحررني».

وبارتخاء قبضة الثعبان وجدت أنها قادرة على النهوض وما إن فعلت هذا حتى انطوى الثعبان على شكل قوس عند مدخل الباب، فمشت الفتاة تحت القوس والخوف يملؤها ولكنها عبرت. كانت مذهولة بحجم الوحش المخيف بينما تتكدّس طبقاته فوق بعضها بعضاً مصدرة ضجة كصوت احتكاك أحجار الصوان تحت قدمي راكض مسرع. وفور أن خرجت الفتاة المسكينة من كومة الحراشف حتى ركضت مثل غزال خائف بعيداً عن المدخل وهبطت السلم إلى الغرفة في الأسفل وخبأت وجهها في صدر أمها.

ولكن الكاهن استمر في مناشدة الثعبان، ثم أنهى صلاته كما بدأها بقوله: «سيكون كما قلت، وستكون لك!».

وعندها خرج واستدعى اثنين من كبار الكهنة المحاربين من المدينة، اللذين استدعيا جميع الكهنة في المجلس المقدس، فقاموا جميعاً بأداء احتفال مهيب وتحضير ريش الطقوس المقدسة وأعواد الصلوات والأضاحي الثمينة.

Twitter: @ketab_n

وبعد أربعة أيام من العمل المضني لتجهيز وتبريك الأشياء التي احضروها لثعبان البحر، نادى الكاهن العجوز ابنته صباحاً وطلب منها أن تجهز نفسها لأخذ تلك الأضاحي لتهبها مع نفسها، التي هي الأغلى من كل شيء، إلى ثعبان البحر العظيم، كما أخبرها أيضاً أن تنسى كل شيء عن قومها وبيتها إلى الأبد، وتذهب إلى منزل ثعبان البحر العظيم في مياه العالم ثم ختم قائلاً: «يبدو أن هذه هي رغبتك كما تبدّى جلياً من تصرفاتك، لقد استخدمت أقدس المياه لأوضع الأغراض، وما أخبرتك به الآن محتوم، فهيا تعالي، لقد أزف الوقت وعليك أن تجهزي نفسك للمغادرة».

ودّعت منزل طفولتها ببكاء حزين وهي تتعلق برقبة والدتها وترتجف من شدة الخوف. وفي الساحة، مطوقة بعويل الناس، ألبسوها أقدس ثيابها القطنية المعدة للمراسم، والمطرزة ببذخ، وزينوها بالحلي من أقراط وأساور وخرز والعديد من الأشياء الجميلة الثمينة، ووضعوا طلاء أحمر على وجنتيها فبدت كأنها ذاهبة للرقص، ثم مدوا طريقاً من الطحين المقدس يقود إلى باب ثعبان البحر، وهو ينبوع ناءٍ في بلادنا يعرف حتى يومنا هذا على أنه المدخل إلى ثعبان البحر، وأنشأوا أربع درجات

Twitter: @ketab_n

نحو هذا الينبوع بالمصاطب المقدسة على الأرض على الطريق الغربي للساحة. وعندما أنهوا صنع الطريق المقدس، قام الكاهن العجوز، والذي لم يذرف دمعة واحدة على الرغم من أن القرية بكاملها كانت تنتحب حزناً على الفتاة الجميلة، بتوجيه ابنته بأن تتقدم نحو الطريق المتدرج وتقف هناك وتنادي على ثعبان البحر أن يأتي لأجلها.

عندها فتح الباب ونزل الثعبان من غرفته العالية حيث كان ملتفاً وبدون أن يستخدم السلالم برز رأسه وصدره نحو الأرض في حركة متماوجة عظيمة. ثم وضع رأسه على كتف الفتاة وأصدر الأمر قائلاً: «حان الوقت». وبدأت الفتاة المشي نحو الغرب وهي تئن تحت حملها الثقيل، وكلما ترنحت من شدة الخوف والتعب وتساءلت عن الطريق، كان ثعبان البحر يدفعها بلطف نحو الأمام ويصحح لها مسارها.

مضيا نحو النهر وتبعا مساره ثم عبرا الجبل الأحمر، ومع ذلك لم تكن طيات الثعبان قد أخلت غرفة الفتاة في منزلها رغم كل تلك المسافة، واستمر بالزحف نحو الأمام حتى تركا الجبل خلفهما، وعندها ظهرت نهاية امتداده. وبدأ الثعبان يجمع نفسه ليأخذ شكلاً جديداً. وقبل أن يمر وقت طويل انكمش شكله

Twitter: @ketab_n

الثعباني فرفع رأسه من على كتف الفتاة ووقف في إيهاب شاب جميل يرتدي حلة بهية! ووضع حراشف شكله الثعباني والتي أصبحت صغيرة الآن تحت معطفه ونادى على الفتاة بصوت أجش: «دعينا نتحدث مع بعضنا، أأنت متعبة يا فتاة؟» ولكنها لم تحرك رأسها، بل تهادت في مشيتها مطرقة نحو الأرض.

أردف الثعبان بصوت أكثر رقة، بينما نهض باستقامة واستدار قليلاً من خلف الفتاة: «أأنت متعبة أيتها الفتاة المسكينة؟» قال هذا وهو يطوي حراشفه بشدة أكثر في عباءته، وكانت تبدو عليه الآن هيئة بطل بهي وشجاع، بثياب رائعة! ثم كرر سؤاله مرة أخرى بصوت أكثر رقة من ذي قبل: «أما زلت متعبة أيتها الفتاة المسكينة؟».

في البداية لم تجرؤ على النظر إليه على الرغم من التغير الكبير في الصوت، الذي بدا كأنه يأتي من بعيد وجعلها تشعر بالسعادة والرضا عن لطفه. ولكنها ظلت تحس بالثقل على كتفها، ثقل رأس ذلك الثعبان المخيف، فكما تعلمون بعد أن يقوم أحد ما بوضع حمل ثقيل على كتفه أو ظهره فلن يشعر مباشرة بانزياح ذلك الحمل عنه فوراً بل يشعر كأنه ما زال يضغط عليه ويؤلمه، وهكذا كانت حالها، ولكنها في النهاية استدارت قليلاً ورأت شاباً جسوراً ووسيماً.

Twitter: @ketab_n

فقال الشاب وهو ينظر في عينيها: «أتسمحين لي بأن أمشي إلى جانبك؟ لماذا لا تتحدثين معي؟».

فأجابت: «يملأني الأسى والحزن والحزن».

فسألها: «لماذا؟، ما الذي يخيفك؟».

فقالت وهي ترفع يدها لتضعها على كتفها: «لأني قدمت إلى هنا من منزلي مع مخلوق مخيف وقد أرخى رأسه على كتفي، وحتى الآن ما زلت أشعر بوجوده هناك، وحتى أنني ما زلت أخاف من وجوده هناك».

فقال: «ولكني أتيت كل الطريق معك، ولم أر مخلوقاً بهذا الوصف».

عقب ذلك توقفت الفتاة والتفت نحو الخلف ونظرت مرة أخرى إليه وقالت: «أنت أتيت معي كل الطريق؟ أتساءل أين اختفى ذلك المخلوق المخيف!».

فابتسم وأجاب: «أنا اعرف أين ذهب».

فقالت الفتاة: «أيها الشاب الصديق هل سيتركني الآن في سلام، ويدعني أعود إلى منزل قومي؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب الشاب: «لا، لأنه يحبك كثيراً».

فقالت الفتاة: «لماذا؟ أين هو؟».

فقال الشاب وهو يبتسم واضعاً يده على قلبه: «إنه هنا، أنا هو».

صرخت الفتاة: «أنت هو؟» ونظرت إليه مرة أخرى غير قادرة على التصديق.

فقال هو: «أجل يا فتاتي، أنا هو!». وسحب من تحت معطفه الفضفاض حراشف الثعبان المتغضنة، وأراها للفتاة كدليل على صدق كلامه. كان رائعاً ومدهشاً للفتاة أن تدرك أنه في النهاية كائن لطيف. لذا نظرت إليه بإمعان.

ثم أردف قائلاً: «أجل إنه أنا. فأنا أحبك يا فتاتي! ألن تكوني سعيدة بالعيش معي؟ أجل فأنت ستذهبين معي وتعيشين معي وأنا سأعيش معك وأحبك، ولا أعني بذلك الآن فقط بل إلى الأبد، في مياه العالم وفي كل نقطة ماء. ستعيشين معي في كل منها وفي جميعها، وسنحب بعضنا».

وبينما تابعا رحلتهما معاً نسيت الفتاة حزنها تماماً، ونسيت

Twitter: @ketab_n

منزلها القديم، فتبعته ونزلت معه إلى مدخل ثعبان البحر، وعاشت معه إلى الأبد.

كان هذا في قديم الزمان، ولهذا كان القدماء مثلما نحن الآن، يتجنبون استعمال مياه الينابيع إلا لأغراض الشرب. وإلى يومنا هذا نحن نعتبر الينابيع الجارية أثمن ما على الأرض ولهذا لا ننتهك حرمتها.

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

حسناء الصخور الصفر

في زمن الأقدمين، عندما سكن أسلافنا قرية الصخور الصفراء[1]، مدينة الملح[2]، قرية الرياح[3]، قرية الأعشاب ذات الأزهار البيضاء، قرية المياه الغريبة، ذلك العهد البعيد الذي غرسوا فيه بذور نهضتهم، فعمرت جميع هذه القرى المندثرة الآن بأسلافنا القدماء، آنذاك عاشت في قرية الصخور الصفراء فتاة فائقة الجمال، وكانت ابنة الكاهن الأعلى.

وبالرغم من أنها امرأة فقد حُبيت منذ ولادتها بخبايا المعرفة السحرية في أمور الصيد وشؤون الحيوانات التي تشارك في إعالة الإنسان، أي طرائد الصيد. ومع أنها امرأة لكنها كانت أنانية وسيئة الطباع، ونظراً لكونها ملكت ناصية هذه المعرفة الفريدة أفضل من جميع الرجال والنساء، فقد آثرت الاستحواذ على كل هذه الحيوانات من غزلان وبقر الوحش، وحتى الأرانب لنفسها فقط. ومن خلال

(1) 19 تقع على بعد 7 أميال تقريباً إلى الشرق من زوني (م).
(2) وهي ماتساكي والتي نرى أنقاضها الآن على بعد 3 أميال تقريباً إلى الشرق من زوني (م).
(3) بيناوا، وهي آثار قديمة على بعد ميل ونصف إلى الغرب من زوني (م).

Twitter: @ketab_n

معرفتها بعادات هذه الحيوانات ولغتها، تواصلت معها وخلبت لبها، وعلى قمة الجبل، حيث تستطيع أن ترى إلى يومنا هذا شكل الغزال القديم محفوراً في الصخر، هنالك بنت حظيرة كبيرة، جمعت فيها واحداً تلو الآخر جميع الغزلان وبقر الوحش وغيرها من الحيوانات البرية في تلك البلاد العظيمة، فذهب عناء صيادي تلك القرى أدراج الرياح، حيث كانوا يقتفون آثار الغزلان وبقر الوحش ثم يفقدون هذه الآثار ودوماً يعودون إلى منازلهم خالي الوفاض، اللهم إلا من أسلحة الصيد التي حملوها معهم. أما هذه الحسناء، فمتى رغبت في صيد غزال، كانت تتوجه إلى حظيرتها وتقتل أي حيوان تختار، وهكذا توافر لديها دوماً فائض من اللحم فأغنت عائلتها، بينما عانى الآخرون المشقة من قلة الصيد وندرته، ودائماً كان لديها الكثير من جلود الغزلان لصنع الأحذية والملابس، بينما واصل الجميع ارتداء ثيابهم البالية القديمة من دون أن يكونوا قادرين على تجديدها.

وكانت هذه الفتاة جميلة بشكل استثنائي كما قلنا، لدرجة أن الكثير من الشبان اعتبروها الزهرة المتوجة على عرش قلوبهم، وفكروا فيها على أنها المركز الذي ستدور حوله أفكارهم حتى نهاية أجلهم، ومن بين هؤلاء الشباب كان الأسبق في التعبير عن مشاعره شاب من قرية الرياح.

Twitter: @ketab_n

ففي أحد الأيام قال لكبار قومه: «أنا ذاهب لخطبتها». وراقبوه بينما عمد إلى تجهيز صرة من مختلف الأشياء الثمينة الخاصة بلباس المرأة وحليها كالقلائد والطماق والتنانير المزخرفة والعباءات المطرزة وأخفاف جلد الغزال البيض كالثلج، ثم حمل تلك الصرة على كتفه ومضى نحو قرية الصخور الصفر.

وعندما وصل إلى القرية استطاع أن يميز منزل الحسناء لجماله اللافت للنظر، إذ كان فريداً من نوعه بين باقي البيوت، فقد ألحقت بالسلم قطعة خشبية محفورة بشكل متقاطع كعادة تلك الأيام، ربطت عليها حاشية من الشعر الأسود غير المسلوخ، اعتادوا على تزيين بعض المنازل بها، والتي تقام فيها عادة الطقوس الدينية، وعلى تلك الحاشية من الشعر علقت نوازل مأخوذة من كهف مقدس في كولورادو، فإذا حركتها الرياح معاً أصدرت أصواتاً كرنين الأجراس الصغيرة. وكانت الحاشية تضم الكثير من النوازل، بحيث يضع الزائر قدمه على السلم فتبدأ بإصدار الأصوات وتعلم أهل البيت بقدوم زائر.

وما إن وضع الشاب قدمه على أول درجة من السلم حتى رنّت الأجراس في الأعلى.

وقال من بالداخل: «أحدهم قادم».

Twitter: @ketab_n

صعد درجة درجة واستمرت الأجراس بالرنين في أعلى السلم، وما إن وصل إلى السقف حتى بدا صوت خطواته واضحاً وهو يمشي وعندما وصل إلى الباب قال الذين في الداخل: «هل وصلت؟» فأجاب: «لقد وصلت اسحبوني إلى الداخل» وبهذا التعبير قصد أنه قد أحضر معه هدية للعائلة، حيث كان من واجب المرأة أخذ الصرة من الزائر الذي يحملها وهذا ما يدعى: «سحب الرجل إلى الداخل»، مع من أنها تقوم فقط بأخذ الصرة منه وتتقدمه نحو الداخل. وفي هذه الحالة عندما قال الشاب: «اسحبوني إلى الداخل» حضرت الفتاة إلى أعلى السلم وأخذت الصرة منه وألقتها أرضاً. كانوا يستطيعون معرفة الهدف من الزيارة من المظهر الخارجي للصرّة.

كان الشيخ جالساً قرب موقد النار، فقد كان الوقت ليلاً، وما إن دخل الغريب حتى بادره: «أوصلت؟».

فأجاب الشاب: «أجل».

فقال الشيخ: «ليس من عاداتنا أن يزور غريب منزل غريب آخر من دون أن يفصح عما في خاطره».

Twitter: @ketab_n

فأجاب الشاب: «هذا صحيح تماماً، لقد حضرت وهذه الحسناء، ابنتك، تسكن بالي وقد خطر لي أن أسكت أفكاري حولها بسعادة ومن دون خوف، ولهذا جئت إليكم».

أحضرت الفتاة الطعام ووضعته أمام الشاب ودعته إلى الأكل، فمد يده وشاطرهم الطعام. جلست الفتاة وأكلت لقمة أو اثنتين، فقد كانوا يعلمون أنها تحترم التقاليد، وبدت كذلك لكل من يراها، ولكن ليس في الحقيقة. وعندما انتهت من الطعام قالت: «كما تشاء يا أبي فأنت والدي»، ولكنها كانت تفكر في قرارة نفسها: «أجل، فغالباً ما وبختني لأني لا أعامل الشبان الذين يأتون لخطبتي بلطف أكثر».

وأخيراً قال الأب: «أنا أمنحك بركتي وموافقتي، يا أبنائي سأتبنى هذا الشاب كابن لي»[1].

وهكذا قادته الفتاة إلى الغرفة العلوية وقالت له: «استرح هنا، فأنت لم تصبح زوجي بعد، سأختبرك في الصباح، فانهض مبكراً بينما لا تزال الغزلان وفيرة، وامض واصطد لي غزالاً جيداً وبهذا ستتأكد آمالنا وأفكارنا حول بعضنا للأبد».

قال الشاب وهو يهم بالنوم: «حسن جداً».

(1) وهذا كل ما تتضمنه مراسم الزواج (م).

Twitter: @ketab_n

نهض الشاب في الصباح الباكر. فأعدت له الفتاة زوّادة، ثم حمل بقوسه وسهامه ومضى إلى الغابات والجبال يبحث عن الغزال. عثر على آثار كثيرة وتبعها حتى اختفت فجأة، وعلى الرغم من أنه كد جاهداً وتبع الآثار مراراً، لم يستطع العثور على شيء. وبينما جهد في تعقب الأثر دون جدوى، خرجت الفتاة كي تتأكد أن أحداً من غزلانها لم يهرب، وما الذي فعلته؟ مضت في النهر ومشت بعكس التيار عبر المياه خلف القرية إلى حيث تنتصب الصخور ذات العلامات، وصعدت الوادي إلى المكان الذي جمعت فيه غزلانها. وجدتها جميعاً هناك هادئة راضية. ولكن لم تكن هناك أي آثار للفتاة فلم يستطع أحد أن يتبعها إلى حيث ذهبت.

استمرّ الشاب بالبحث عما يصيده طوال اليوم، وعندما حل الليل، اتخذ طريقه عائداً إلى منزل الفتاة وهو متعب وجائع وكانت هي بانتظاره.

وقالت له: «ماذا أحضرت لنا اليوم؟».

وأجاب الشاب وقد أحنى رأسه وانطفأت عيناه: «لم أعثر على شيء اليوم».

Twitter: @ketab_n

قالت الفتاة: «حسناً، هذا مؤسف جداً، ولكن في ظل هذه الظروف لن نستطيع الاستمرار معاً مدى الحياة».

أجاب الشاب: «لا، لا أظن ذلك».

قالت الفتاة: «إليك الصرة التي أحضرتها». وحملتها بحذر وأعطته إياها حيث حملها على كتفه واتخذ طريقه عائداً إلى دياره بعد كل ذلك العمل المضني.

في اليوم التالي، سمع شاب يدعى هالونا (وكان مغروراً جداً) بما حدث فقال: «يا له من أحمق! يبدو أنه لم يحمل لها ما يكفي من الهدايا، فلم يحظ برضاها وقبولها. يقولون إنني شخص لطيف، وسوف أحمل إليها صرّة من الهدايا ستتكفل بتصحيح جميع الأمور».

ولأنه شاب ثري فقد وضع في الصرة كل ما ترغب فيه امرأة، حتى أصبح حمله ثقيلاً جداً، وارتدى أفضل ثيابه وطلا وجهه بأحسن الأصباغ، واتخذ طريقه نحو منزل الحسناء. وأخيراً لمست قدمه أسفل السلم ورنت الأجراس أثناء صعوده وكذلك أصدرت الصرة أصواتاً عندما ألقاها على السطح.

قال من بالأسفل: «أحدهم قادم، استمعوا إلى هذا».

Twitter: @ketab_n

هزت الفتاة كتفيها وقالت: «هل وصلت؟»

فأجاب الشاب: «أجل، اسحبوني إلى الداخل».

فمدّت يدها وجرت الصرّة الثقيلة إلى الغرفة ووضعتها على الأرض وتبعها الفتى.

وقال الشيخ الذي كان جالساً بجانب النار، إذ كان الوقت ليلاً: «أوصلت؟ لا يزور غريب منزل غريب آخر إلا إذا كان يفكر في شيء ما؟ فما الذي تريده؟».

نظر الشاب إلى الفتاة وقال في نفسه: «يا لها من فتاة! لابد من أن تصبح زوجتي، فلا يوجد خوف من أن لا تقبل بي». ثم قال بصوت عال: «أحضرتني أفكاري حول ابنتك، وأتمنى أن تستريح آمالي وأفكاري معها».

قال الشيخ: «حسناً، إنه لمن قبيل العادة عند قومنا وكل الأقوام التي تعتز بكرامتها وهيبتها، أن تمنح رب الأسرة حق السماح بزواج الشبان والفتيات وتأسيس عائلاتهم في المنزل نفسه. وأنا ليس لدى اعتراض، فما قولك يا ابنتي؟».

قالت الفتاة: «وأنا ليس لدي اعتراض».

Twitter: @ketab_n

قال الشاب في نفسه: «ألم أقل ذلك؟». وأكل بقدر كبير من الرضا من الطعام الذي وضع أمامه.

أخرج الأب قشور الذرة والتبغ، ودخنا معاً، ثم قال لابنته: «هذا الغريب الذي أصبح ابني قد أتى من مسافة بعيدة ويجب ألا نبقيه مستيقظاً لفترة طويلة».

وبينما كانت الفتاة تقوده إلى غرفة أخرى، أخذ يفكر: «كم هي لطيفة! يا لخفتها وهي تصعد السلم».

وعندما وصلا إلى الباب، قالت الفتاة: «هنا سأقول لك ليلة سعيدة».

سألها الشاب: «ما الأمر؟».

قالت الفتاة: «أريد أن يكون زوجي صياداً ماهراً، فأتأكد أنه سيكون لدي الكثير من الطعام في جميع الأوقات، والكثير من جلد الغزال لثيابي، لذلك علي أن أطلب منك أن تذهب في الصباح وتصطاد غزالاً، أو أن تحضر معك إلى المنزل بقرة وحش من أجلي».

قال الشاب بسرعة: «حسناً إذن»، واستلقى ليستريح.

Twitter: @ketab_n

في الصباح التالي خرج الشاب، وكانت الفتاة تراقبه من على السطح. لم يطق صبراً على انتظار ضوء النهار، فطلب من إله الشمس إيقاظه قبل حلول الوقت، وما إن أشرقت الشمس حتى قفز من سريره وحمل كنانة سهامه وأخذ قوسه في يده وانطلق مع القليل من اللحم الذي أعدته الفتاة من أجله.

وبينما يمضي نحو النهر لمح الفتاة وهي تراقبه من سطح المنزل، فأسرع راكضاً حتى اختفى عن الأنظار، كي يدعها ترى أنه عداء رائع وصياد ماهر، فقد كانت له سمعته كشاب قوي جداً ونشيط. ولكنه بحث طويلاً فلم يعثر على أي غزال، ولا حتى على آثاره.

أثناء ذلك ذهبت الفتاة عكس التيار في النهر وراقبت الحظيرة. وانتهى الشاب إلى الإخفاق مثل الآخر الذي سبقه، فعاد إلى البيت عند حلول الظلام، من دون أن يراوده شعور بالكآبة مثله، إذ كان أكثر ثقة واعتداداً بنفسه.

سألته الفتاة عندما التقت به: «ألم تصد على أي غزال اليوم؟».

فأجابها: «لا».

Twitter: @ketab_n

قالت الفتاة: «أنا اعتذر، ولكن في ظل هذه الظروف، لا أستطيع أن أقبل أن نصبح زوجاً وزوجة».

وهكذا حمل صرته وعاد إلى دياره.

في اليوم التالي سمع شاب من مدينة الملح بعض ما حدث، ولكنه علم أن الشبان ذهبوا يومياً إلى منزل الفتاة لخطبتها فرفضهم جميعاً. فقال: «سأتجرأ وأقول إنهم لم يأخذوا معهم ما يكفي»، وهكذا حمل صرّتين ومضى إلى منزل الفتاة وقال في نفسه: «هذه المرة سيجري الأمر على ما يرام».

وعندما وصل، جرى الحديث معه مثلما حدث مع الشبان الآخرين، وقالت الفتاة بينما كانت ترشده إلى باب غرفته: «أيها الشاب، إذا عثرت على غزال من أجلي غداً فسأصبح زوجتك وابني آمالي عليك فقط».

فكر الشاب في نفسه: «الرحمة! غالباً ما كنت ألقب بالصياد البائس. ماذا سأفعل؟».

وفي الصباح التالي حاول الشاب الصيد ولكنه عاد بالنتيجة نفسها.

Twitter: @ketab_n

احتفظت الفتاة بالغزلان وبقر الوحش والحيوانات الأخرى لمدة طويلة في الحظيرة حتى كادت الناس في القرى المجاورة تهلك جوعاً. وكان إرضاء نفسها الأنانية هو الباعث الوحيد لحبس تلك الحيوانات.

عاد الشاب في المساء وسألته الفتاة فيما إذا عثر على غزال من أجلها.

فنفى قائلا: «لا، لم أستطع حتى العثور على أثر أحدها».

فقالت الفتاة: «أنا أعتذر، رغم أن هداياك كثيرة».

وأخذ الشاب ما أحضره معه وعاد به إلى المنزل.

وأخيراً، كثر الحديث حول هذا الموضوع إلى درجة أن الإلهين الصغيرين على قمة جبل الرعد، واللذين كانا يعيشان مع جدتهما حيث يقع مذبح الأضاحي الآن، قالا: «لا بد أن هناك خطأ ما، سنذهب ونخطب تلك الفتاة». كان هذان الإلهان قبيحي الشكل جداً، وقد وقع اختيارهما على التخفي بهيئة قزمين لن يكبرا ليصبحا في طول قامة الرجل. ولازما الظهور بهيئة الصبيان، مما جلب عليهما نقمة جدتهما وفظاظتها، ومع ذلك قررا ذات ليلة أن يتوجها في اليوم التالي ويتوددا إلى تلك الفتاة.

Twitter: @ketab_n

قال أحدهما للآخر: «فلنذهب ونجرب حظنا مع تلك الفتاة، فأنت تبدو وسيماً جداً عندما أنظر إليك».

وأجابه الآخر: «وأنت تبدو وسيماً تماماً عندما أنظر إليك».

كانا أقبح المخلوقات في الهيئة البشرية، بينما في الحقيقة كانا من بين أروع الرجال، وأوتيا القدرة على اتخاذ أي شكل يرغبانه.

قال الكبير منهما لجدته: «جدتي، تعلمين كم كثر الحديث حول هذه الفتاة في قرية الصخور الصفر، ولقد قررنا الذهاب لخطبتها».

أجابت الجدة: «أيها الشقيان التعيسان، القذران الصغيران! كيف تراودكما مثل هذه الفكرة في حين أنها رفضت أحسن الشبان في البلاد».

قال: «حسناً نحن سنذهب».

أجابت الجدة: «لا أريد منكما الذهاب، فسيصبح اسماكما مضغة في أفواه الجميع، سيضحكون عليكما ويسخرون منكما».

Twitter: @ketab_n

قالا: «نحن ذاهبان»، وبدون أن يعيرا أدنى انتباه لجدتهما قاما بإعداد الصرة التي سيحملانها معهما، وكانت بائسة في الواقع، فالشقيق الأصغر وضع فيها حجارة صغيرة وأعواداً وقطعاً من جلد الغزال مع العديد من الأشياء التي لا قيمة لها، ثم انطلقا.

سأل أهاياتا الشقيق الأكبر: «لماذا تحمل معك هذه الصرة؟».

فأجاب ماتسايلما الشقيق الأصغر: «كهدية للفتاة».

فقال الآخر: «هي لا ترغب بشيء تافه كهذا، لقد قدموا لها هدايا ثمينة جداً من قبل، وليس لدينا ما يساوي ما أخذه إليها الآخرون من قبل».

وهكذا قررا أن يتخلصا من الصرة بالمرة، وأكملا طريقهما وهما يحملان أقواسهما وسهامهما فقط.

وبينما كانا يقطعان الطريق نحو منزل الحسناء، شرعا في اصطياد فئران الغابات، واستمرا بذلك حتى جمعا عدداً كبيراً منها في شكل خيط طويل يجمعها من أذيالها.

Twitter: @ketab_n

وتعجب الأخ الأصغر: «هاك!، هذه ستكون هدية رائعة للفتاة!». كانا يعرفان تماماً كيف كان يجري الأمر وكان يبحثان عن مصلحة أبناءهما الموعودين في القرى المحيطة.

قال الأخ الأكبر: «يا شقيقي الصغير لن تقبل الفتاة هذه أبداً، لن ترضى بوجودها في منزلها!».

أجاب الشقيق الأصغر: «بلى، ستفعل، سنأخذها معنا كهدية لها».

وأكملا طريقهما، ووصلا عند الظهيرة حاملين سلسلة الفئران التي اصطادوها إلى الجروف البيضاء على الطرف الجنوبي من الوادي في مواجهة القرية حيث تعيش الحسناء.

قال الأخ الأكبر: «دعنا نجلس هنا في ظل هذا المنحدر الشاهق، فليس مناسباً التوجه للخطبة قبل حلول المساء».

أجاب الأخ الأصغر: «لا، فلنذهب الآن، أنا في عجلة من أمري! أنا في عجلة من أمري!».

قال الأخ الأكبر: «أنت أحمق، يجب ألا تفكر في الذهاب لخطبتها قبل المساء، ابق هنا واصبر».

Twitter: @ketab_n

وهكذا جلسا في ظل المنحدر. لكن الأخ الأصغر استمر بالقفز والجري مراقباً الشمس طوال فترة ما بعد الظهر، فكان يذهب ويحرك سلسلة الفئران التي اصطادها ثم يعود وينظر إلى الشمس مرة أخرى. أخيراً عندما قاربت الشمس على المغيب نادى أخاه: «هيا بنا!».

أجاب الأخ الأكبر: «انتظر حتى يحل الظلام، ألا تتحلى بأي صبر أو منطق أو كرامة؟».

سأل الأخ الأصغر: «لماذا لا نذهب الآن؟».

وهكذا استمرا بالشجار ولكن مشيئة الأخ الأكبر هي التي سادت إلى أن حل الظلام، فتابعا طريقهما.

بدأ الأخ الأكبر يشعر بالخجل بينما كانا يقتربان من القرية فقال: «أنا أتساءل أي منزل هو؟».

أجاب الآخر: «المنزل ذو السلم الأطول، طبعاً».

ثم قال الأخ الأكبر بصوت منخفض: «الآن، كن مهذباً ومحترماً».

أجاب الأخ الأصغر: «حسناً سأفعل».

Twitter: @ketab_n

وعندما وصلا إلى السلم همس الأخ الأكبر: «لا أريد الذهاب إلى هناك، لا أريد الذهاب لخطبتها، هيا فلنعد».

قال الأخ الأصغر: «هيا اصعد».

قال الأخ الأكبر: «ابق ثابتاً، واصمت وكن محترماً».

صعدا السلم بحذر شديد بحيث لم يصدر صوت واحد من الأجراس، تردد الأخ الأكبر في حين تابع الأخ الأصغر طريقه نحو القمة، و فوق حافة المنزل.

نادى الأخ الأصغر: «والآن ماذا؟».

همس الأخ الأكبر وهو يهز السلم قليلاً بينما هو يصعد حتى تقرع الأجراس في الأعلى: «ابق صامتاً».

قال الأشخاص في المنزل: «من جاء إلينا الآن؟».

وعندما أصبحا معاً على السطح، قال الأخ الأكبر: «اذهب أنت أولاً».

قال الآخر: «لن أفعل شيئاً كهذا، أنت الأكبر».

نادى سكان المنزل: «من هناك؟».

Twitter: @ketab_n

قال الأخ الأكبر: «أترى ما الذي فعلته أيها المغفل!». ثم وبقدر كبير من الاحترام نزل السلم وتبعه الأصغر وهو يرتجف حاملاً معه صيده من الفئران.

قال الأخ الأكبر: «أيها الأحمق، ألق بها بعيداً، فهم لا يريدون فئراناً!».

أجاب الأصغر: «بلى أنهم يريدونها، سترغب الفتاة في هذا، وربما ستتزوجنا بسببها!».

كان الأخ الأكبر منزعجاً جداً، ولكن الآخر أحضر فئرانه إلى الداخل ووضعها على الأرض في منتصف الغرفة.

رفع الأب نظره إليهما وقال: «هل وصلتما؟».

أجاب الغريبان: «أجل».

قال الشيخ» «اجلسا». وهكذا جلسا ووضع الطعام أمامهما.

قال الأب وهو ينظر نحو سلسلة الفئران: «يبدو أن الحظ حالفكما اليوم في الصيد».

أجاب الاثنان: «أجل».

Twitter: @ketab_n

فقام الكاهن العجوز بإحضار بعض طعام الصلوات، وأدار وجوه الفئران نحو الشرق وتلا صلاة قصيرة.

قال الأخ الأصغر: «ألم أقل لك؟ لقد أعجبتهم الهدايا التي أحضرناها، انتظر وسترى!».

وسرعان ما قال الشيخ: «ليس من عادة الغرباء الحضور إلى أحد المنازل من دون هدف محدد».

قال الأخ الأصغر: «صحيح تماماً».

قال الأخ الأكبر: «أجل يا أبتاه، جئنا ونحن نفكر في ابنتك، ونحن نقدر أنها قد خطبت للعديد من الشبان وبدا لنا أنهم لم يحضروا النوع المناسب من الهدايا».

فقال الأخ الأصغر: «لهذا أحضرنا هذه».

قال الشيخ: «حسن جداً، من الطبيعي أن يتزوج الشبان والفتيات، يعود القرار لابنتي».

وهكذا أحال الموضوع لابنته التي قالت: «كما تشاء يا أبي، أي واحد منهما؟».

قال الأخ الأصغر: «اقبلي بنا معاً!».

Twitter: @ketab_n

كان هذا محرجاً للفتاة ولكنها كانت واثقة أن لديها مخرجاً آمنا. وهكذا عندما ذكرها والدها بأن الوقت قد حان لترشد الشابين إلى الغرفة التي أقام فيها الآخرون، أخبرتهم القصة نفسها.

فعقبا: «حسن جداً».

ثم استلقيا، ولكن عوضاً عن النوم، أمضيا أغلب الليل يتساءلان ماذا يخبئ المستقبل لهما.

قال أحدهما للآخر: «سيكون لدينا زوجة رائعة».

قال الآخر: «لا تتحدث بصوت مرتفع، سيسمعك الجميع، وسيملأك العار!».

وبعد فترة خلدا إلى النوم، ولكنهما استيقظا مبكراً في الصباح، وبدأ الأخ الأصغر بالحديث مع أخيه الكبير الذي قال له: «ابق صامتاً، لم يستيقظ الآخرون بعد، لا تزعجهم!».

فقال الأخ الأصغر: «ولكن الشمس تشرق».

قال الآخر: «اصمت، فعندما يستيقظون سيقدمون لنا بعض الطعام لنأخذه معنا».

Twitter: @ketab_n

ولكن الأخ الأصغر قفز ودار في المنزل وهو ينادي: «لقد أشرقت الشمس، انهضوا!».

تم تحضير الطعام وعندما انطلقا في رحلتهما صعدت الحسناء إلى أعلى المنزل وسألتهما بأي اتجاه سيذهبان.

قالا: «سنذهب نحو الجنوب وسنحضر لك الغزال قبل مرور وقت طويل، على الرغم من أننا صغار وقد لا نصادف حظاً جيداً».

وبينما كانا ينزلان السلم قالت الفتاة لنفسها: «أيها الشقيان التعيسان القبيحان، سألقنكما درساً، كيف تجرؤان على القدوم لخطبتي بهذه الطريقة؟».

ذهب الشقيقان نحو المنحدرات، وتظاهرا بالصيد، ولكنهما عادا عبر الأجمة إلى جانب المنزل وانتظرا ليريا ما الذي ستفعله الفتاة.

وسرعان ما خرجت، فراقباها وهي تنزل الوادي وتركض نحو النهر دون أن تخلف وراءها أي أثر متخذة طريقها عكس الجدول. سبقها الشقيقان وعثرا على الطريق المؤدي إلى أعلى الجبل، قبل أن تنتهي من مسيرها في النهر بوقت

Twitter: @ketab_n

طويل. تبعا هذا المسار حتى وصلا إلى الحظيرة، فنظرا ووجدا آلاف الغزلان وبقر الوحش والماعز وغيرها من الحيوانات وهي تتجول في الأسر.

قال الأخ الأصغر: «هذا هو المكان! فلنذهب إلى هناك، هيا!».

قال الأخ الأكبر: «اصمت واصبر، انتظر حتى تصل الفتاة، إذا قتلنا أحد هذه الغزلان قبل وصولها فقد تكون لديها قدرة أو معرفة سحرية فتحرمنا من ثمار جهودنا».

قال الآخر: «لا، لنقتل واحداً الآن». لكن الأخ الأكبر استطاع السيطرة عليه حتى بدأت الفتاة بتسلق الجرف، حيث لم يعد يستطيع ضبطه أكثر، وسحب الشاب قوسه وأطلق سهماً نحو أضخم غزال. سهم واحد، وسقط الغزال صريعاً على الأرض، وظهرت الفتاة ورأت الغزال مقتولاً.

قال الأخوان: «هل قدمت؟ أأنت هنا؟».

نظرت الفتاة إليهما، وأحست بقلبها قد أصبح بين ركبتيها ثقيلاً كالصخر، ولكنها لم تجب.

Twitter: @ketab_n

قال الأخ الأصغر: «لقد قلت، هل قدمت، أنت قادمة، أليس كذلك؟».

عندها قالت الفتاة: «أجل، حسناً يبدو أنه علي الخضوع، فهذا ما أوقعت نفسي به»، ثم نظرت إلى الأعلى وقالت: «أرى أنكما قتلتما غزالاً».

قال الأخ الأصغر: «أجل، قتلنا واحداً، ولم نواجه أية صعوبة في هذا، تعالي هيا، وساعدينا في سلخه، فنحن صغيران وجائعان ومتعبان ولا نستطيع القيام بذلك. هيا تعالي».

تقدمت الفتاة ببطء نحوهما، وساعدتهما وهي حزينة على سلخ الغزال. ثم شرعا بصيد المزيد من الغزلان، وهّما بجرها إلى الخارج، ولكنهما كانا صغيري الحجم جداً فلم يستطيعا فعل ذلك، وكان على الفتاة أن تساعدهما. ثم قاموا بتقطيع اللحم وجعلوه في شكل حزم، فأعدّت الفتاة صرة كبيرة من أجلها وأعدّ الشابان اثنتين صغيرتين لهما.

قالا وهما يمسحان قوسيهما: «والآن، لقد انتهى عمل اليوم، أليس كذلك؟»، ونظرا نحو الفتاة بأعين تلمع.

أجابت الفتاة: «أجل، أنتما صيادان رائعان».

Twitter: @ketab_n

سأل الأخ الأصغر: «هل نذهب إلى المنزل؟ سيكون من العار أن تحملي صرة كهذه، سأحملها عنك».

صرخ الأخ الأكبر: «أيها الشقي الصغير المغرور، ألم أحاول السيطرة عليك؟ ستدفن نفسك تحت صرة من اللحم!».

أجاب الأخ الأصغر: «لا، أنا أستطيع حملها». وهكذا أسندا صرة اللحم على شجرة، ونادى الأخ الأكبر على الفتاة لتساعده، ووقف الأخ الأصغر وحملها على ظهره، ولكن ما إن أفلتا الصرة حتى أوقعت الأخ الأصغر على الأرض وكادت تسحقه تماماً.

صرخ الأخ الأصغر: «الرحمة! الرحمة!، إني أموت، ساعدوني لأخرج من هنا».

وهكذا تدبرا أمر إزاحة الحزمة من فوقه فنهض وفرك ظهره وهو يشتكي من الألم بشدة (كان يتظاهر بذلك) وقال: «يبدو أنني سأحمل الصرة الصغيرة».

وهكذا حمل صرته الصغيرة على كتفه وحملت الفتاة الصرة الكبيرة، ولكن قبل أن تذهب استدارت إلى الحيوانات وقالت: «يا أطفالي! خلال كل ذلك الوقت، كنتم تسبغون دفء محبتكم علي، وكنتم مرتاحين وراضين لبقائكم بعيداً عن

Twitter: @ketab_n

أنظار البشر. ولكن الآن، عليكم أن تمضوا إلى حيث تريدون، حتى تملأوا الأرض بذريتكم، ويتمكن البشر مرة أخرى من أكل لحومكم وارتداء جلودكم». وذهبت جميع الحيوانات في كافة الاتجاهات.

عندها التفت إلها الحرب الشابين إلى الفتاة وقالا: «والآن، هل نذهب إلى المنزل؟».

فقالت الفتاة: «أجل».

قال الأخ الأصغر: «حسناً، سأمشي في المقدمة».

قال الآخر: «عد إلى الخلف حيث تنتمي، أنا سأمشي في المقدمة». وهكذا مشى الأخ الأكبر في الأمام، وتبعته الفتاة ثم الأخ الأصغر في الخلف وهو يحمل صرته الصغيرة.

وذهبوا إلى المنزل فوضعت الفتاة اللحم ليجف في الغرف العلوية من المنزل.

وبينما أكملت عملها هذا كان النهار لا يزال في بدايته. وكان الأخوان يجلسان معاً ويتهامسان: «ما الذي ستفكر به الآن؟».

«أنا لا أستطيع أن أجد شيئاً ما يمكن لها أن تقوله لنفسها».

Twitter: @ketab_n

«طبعاً، ليس هناك ما تستطيع قوله».

وعندما تم ترتيب اللحم في المنزل وغربت الشمس، جلسوا بمفردهما يتحدثان في الأمر: «ما الذي تستطيع أن تفكر به الآن؟».

«لا شيء، لا شيء على الإطلاق، ليس هناك شيء يمكن فعله».

قالا: «هذا صحيح تماماً»، ثم مضيا لتناول وجبة المساء مع العائلة.

أخيراً، قالت الفتاة: «لا بد أنكما متعبان بعد عناء الصيد والعمل المجهد الذي بذلتماه اليوم، ستجدان حيث نمتما الليلة الماضية مكاناً للراحة، اذهبا واستريحا. أنا لا أستطيع الموافقة على الزواج بكما، فأنتما لم تثبتا بعد أنكما قادران على الاعتناء بي وإلباسي جلود الغزلان، كما فعلتما عند صيد الغزلان وبقر الوحش والحيوانات الأخرى. فمنذ وقت طويل وجلود الغزلان تتراكم في الغرفة العلوية. وليس لي إخوة كي يقوموا بتنعيمها وتنظيفها، ولهذا إذا استطعتما انتزاع الشعر منها جميعاً بحلول المغيب غداً وتنظيف الجانب السفلي منها حتى تصبح رفيعة

Twitter: @ketab_n

وناعمة، سأقبل بأن أكون زوجة أحدكما أو كليكما».

وقال الشابان: «الرحمة! هذا شاق جداً».

قال الأخ الأصغر: «لن نستطيع أبداً فعل ذلك».

قال الأكبر: «لا أظن أننا نستطيع ذلك ولكننا سنحاول».

واستلقيا ليستريحا.

قال الأكبر بعد أن فكر في الأمر: «دعنا نقم بكل شيء في وقته». وقفزا وعلى الفتاة وقالا: «أين هي تلك الجلود؟».

قالت الفتاة: «إنها في الغرفة العلوية».

ودلتهما على الطريق إلى الغرفة العلوية، وكانت مليئة حتى السقف بجلود الغزلان. وبدآ بصنع أكوام كبيرة منها وقاما بأخذها إلى النهر. وعندما أحضرا جميع الجلود قالا: «كيف سنستطيع تنظيف كل هذه الجلود؟ إنها أكثر مما نستطيع تنظيفه في سنة كاملة؟».

قال الأخ الأصغر: «سأقول لك ماذا سنفعل، سنقوم بتخبئة بعضها في ثنايا الصخور ونتخلص منهم بهذه الطريقة».

قال الأكبر: «إنك دائماً على عجلة من أمرك، دائماً

Twitter: @ketab_n

مستعجل، أتظن أن تلك المرأة وضعت هذه الجلود بعيداً دون أن تقوم بإحصاء كل واحد منها؟ لا نستطيع فعل هذا».

وقاما ببسطها في النهر حتى تمتص الماء طوال الليل، وبنيا سداً صغيراً كي لا يجرفها النهر. وبينما كانا يعملان سمعا أصواتاً تتحدث، فأصغيا ليسمعا.

كان التل الذي ينتصب إلى الجانب المقابل من قرية الصخور الصفراء لا يزال المأوى المفضل لفئران الحقول. وكانت خصبة النسل جداً، لذلك توجب عليها توفير الكثير من الصوف لعائلاتها. ولكن الفئران كانت في تلك الأيام مدمنة نهمة على القمار، حيث ظلت طوال الوقت تتراهن على أعشاشها، فنفقت صغارها من البرد إذ بقيت عارية تماماً دون أي صوف يغطيها. ومع ذلك واصلت القمار بعد أن صنعت أشكالاً صغيرة من الأعشاش وراهنت عليها. كانت هذه الفئران هي من سمعها الإلهان.

قال الأخ الأصغر: «استمع لهذا! من الذي يتحدث؟».

«أحدهم يقامر، فلنقترب».

عبرا النهر واستمعا، فسمعا أصواتاً ناعمة تشتم وتصرخ.

Twitter: @ketab_n

قال الأخ الأصغر: «دعنا ندخل» ووضع قدمه في الحفرة ونزل إلى الأسفل وتبعه الآخر. ووجدا هناك قرية هائلة من فئران الحقول في هيئة بشرية. وكانت الملابس التي تغلفهم في هيئة فئران معلقة على الجدران، بينما اكتفى بعضهم بلف ثيابه على خصره، وكانوا مستغرقين في القمار بأعنف ما يستطيعونه وهم يتبادلون الحديث فيما بينهم.

وما إن دخل الأخوان حتى قالوا: «هل قدمتما؟».

فأجاب الاثنان: «أجل».

نادت عليهما الفئران، إذ كانت بالغة التهذيب: «تعاليا واجلسا وشاركانا في اللعبة، لم يعد لدينا أي شيء لنراهن عليه الآن، ولكن إذا كنتما تثقان بنا فسنلعب معكما».

قال فأر الحقول العجوز ذو الذيل المكسور: «ما الذي فكرتما به ودفعكما للقدوم إلينا؟».

أجاب الأخوان بأنهما أتيا لأنهما سمعا أصواتاً، ثم قصا حكايتهما.

فسألتهما الفئران: «وما الذي عليكما فعله؟».

Twitter: @ketab_n

«علينا أن ننظف كل ذلك الشعر من جلود الغزلان بحلول الغد».

نظرت الفئران إلى بعضها، واشتعلت أعينهم ولمعت بوضوح.

قالت الفئران: «حسنا إذاً، سنساعدكما إذا وعدتمانا بشيء، ولكننا نريد وعداً قاطعاً».

سال الأخوان: «وما هو؟»

«أن تعطوننا كل الصوف».

قال الأخوان: «أجل، سنكون سعداء بالتخلص منه».

قالت الفئران: «حسناً إذاً، أين هي تلك الجلود؟».

وبدأوا جميعاً بالخروج من المكان، وكانوا كثيرين جداً مثلما تسيل مياه النهر متدفقة على صخرة، عندما يسقط المطر الغزير.

وعندما خرجوا جميعاً، قام إلها الحرب بسحب الجلود إلى الضفة، وبدأت فئران الحقول بنتف الشعر وتنظيف الجانب الداخلي، وصنعوا صرراً صغيرة من اللحم الذي استخلصوه من الجلود لغذائهم ورزماً كبيرة من الصوف، وأخيراً قالوا: «هل لنا أن نحتفظ بها كلها؟».

Twitter: @ketab_n

أجاب الأخوان: «لا، يجب أن تبقوا لنا ثمانية، أربعة لكل واحد منا، حتى نعمل بجد طوال يوم غد».

فقالت الفئران: «لا نستطيع أن نوافق على ترك كل هذا، إلا إذا وعدتمانا بان تجمعا كل الصوف وتضعاه في مكان نستطيع الحصول عليه».

ووعدهما الاثنان بهذا ثم قالا: «تأكدوا من أن تتركوا ثمانية جلود، هلا فعلتم ذلك؟ ونحن سنذهب للنوم ونستريح قليلاً».

أجابت الفئران: «حسناً، حسناً».

وهكذا صعد الأخوان التل إلى المدينة، ثم تسلقا السلم وناما في غرفتهما.

في الصباح التالي قالت الفتاة: «تذكرا الآن، عليكما تنظيف كل الجلود وجعلها ناعمة وبيضاء».

وهكذا ذهبا إلى النهر وبدآ العمل، كانت الفتاة قد ذكرت لهما أنها ستأتي عندما ينتصف النهار وترى كيف تجري الأمور. كانا يعملان على الجلود طوال فترة ما قبل الظهر. كان الأخ الأكبر ينتزع الصوف، في حين كان الأصغر ينظف وينعم الجلود.

Twitter: @ketab_n

وعندما أتت الفتاة عند الظهر قالت: «كيف تسير الأمور؟».

«لقد انهينا أربعة منها ونعمل الآن على الخامس».

قالت الفتاة: «تذكرا، عليكما إنهاء جميع الجلود اليوم أو سيكون علي أن أعيدكما إلى دياركما».

واستمرا بالعمل حتى قبيل غروب الشمس، عندما ظهرت الفتاة ثانية وكانا قد للتو للتو آخر واحد. كانت فئران الحقول قد جهزت الباقي بعناية (حتى أنهم قاموا بعمل أفضل من الرجلين)، وهناك على الرمال نثرا الجلود فبدت كأنهاحقل كبير من شيء ينمو لكنه أبيض اللون فقط.

عندما نزلت الفتاة كانت مذهولة تماماً، نظرت ونظرت ثانية وقامت بعد الجلود مراراً وكانت جمعيها هناك، ثم أخذت عوداً طويلاً وبحثت في المياه ولكنها لم تجد شيئاً.

قالت الفتاة: «حسناً، ستكونان زوجي، علي أن أخضع لهذا».

Twitter: @ketab_n

وعادت إلى المنزل بصحبتهما، وعاشا لوقت طويل معاً، المرأة مع زوجيها الاثنين، وتدبروا أمورهم براحة ولم يعد الشقيقان يتشاجران كما كانا يفعلان من قبل.

وأخيراً، ولد لهما صبيان صغيران توأمان، مثل أبويهما تماماً، على الرغم من أحدهما كان يدعى الأكبر والآخر الأصغر.

بعد فترة قال الأخ الأصغر: «الآن علينا أن نعود إلى منزلنا وإلى جدتنا. دائماً ما يعود الناس إلى ديارهم ويأخذون عائلاتهم معهم».

قال الأخ الأكبر: «لا، عليك أن تتذكر أننا ندّعي أننا كائنات بشرية. لن ينفع أن نأخذ الفتاة معنا إلى ديارنا».

قال الآخر: «بلى، أريدها أن تأتي معنا. كانت جدتنا تسخر منا طوال الوقت لأننا كائنات صغيرة تعيسة وشقية. أريد أن أثبت لها أننا نساوي شيئاً».

لم يستطع الأخ الأكبر إقناع أخيه بترك الزوجة هنا، ومثل كل زوجة مطيعة قالت: «سأذهب معكما». وقاموا بإعداد حوائجهم وانطلقوا. كان يوماً حاراً جداً، وعندما تسلقوا إلى مقربة من قمة جبل الرعد قال الأخ الأصغر: «أنا متعب، فلنسترح قليلاً».

Twitter: @ketab_n

قال الأخ الأكبر: «لن نفعل هذا، أنت تعلم جيداً انه لا يصلح أن نجلس هنا، فوالدنا الشمس، قد منعنا من التواجد بين البشر، هذا لا ينفع».

قال الأخ الأصغر: «بلى، سنفعل علينا أن نجلس هنا». ومرة أخرى نفذت مشيئته وجلسوا جميعاً.

عند منتصف النهار وقف اله الشمس ثابتاً في السماء، ونظر إلى الأسفل ورأى امرأة جميلة، وبقوة أشعته خطفها بسرعة من بينهم بينما كانوا جالسين يتحدثون، وكانت تحمل طفليها الصغيرين.

نظر الشقيقان حولهما وقالا: «أين زوجتنا؟».

صرخ الأصغر: «إنها هناك، سأقتلها».

صرخ الأخ الأكبر: «ستقتل زوجتك»

«لا دعها تذهب، هذا سيكون أفضل».

قال الأصغر: «لا، بل سأقتلها!» ونظر نحو الأعلى وسحب سهمه وكان تصويبه لا يخطئ أبداً، فانطلق السهم نحوها مباشرة وقتلها. وعندها اختفت قوة الحياة التي كان يستخدمها اله الشمس لسحبها نحو الأعلى، فسقطت وتدحرجت حتى ارتطمت بالأرض.

Twitter: @ketab_n

كان الطفلان صغيرين جداً، وعظامهما رقيقة، حتى إن السقطة لم تؤذهما كثيراً. وسقطا على حافة ناعمة وتدحرجا نحو أسفل التل. وركض الأخ الأصغر وأمسك بهما بين ذراعيه وهو يصرخ: «يا طفليّ الصغيرين» وأحضرهما إلى شقيقه الأكبر، والذي قال: «والآن ماذا نستطيع أن نفعل بهذين الطفلين الصغيرين، من دون أم، ولا قوت؟».

قال الأخ الأصغر: «سنأخذهما إلى المنزل، إلى جدتنا».

أجاب الأخ الأكبر: «لا تستطيع جدتنا الاعتناء بهذين الطفلين».

قال الأخ الأصغر: «بلى تستطيع بالطبع، هيا تعال، أنا لم أكن أريد أن اخسر زوجتي وأطفالي أيضاً، ظننت أنه يجب أن أحتفظ بالأطفال، لهذا قتلتها».

وحمل كل واحد منهما أحد الطفلين وصعدا بهما إلى قمة جبل الرعد.

قال الأخ الأكبر: «والآن، ذهبنا لنتزوج وعدنا إلى المنزل بدون زوجة، ومع طفلين صغيرين، ولا يوجد لدينا أي شيء لنطعمهما إياه».

نادى الأخ الأصغر: «يا جدتي».

Twitter: @ketab_n

لم تكن العجوز قد سمعت عنهما شيئاً منذ أيام معدودة، أشهر عديدة بل حتى لسنوات عديدة. نظرت نحو الخارج وقالت: «لقد عاد حفيداي» ونادت عليهما وقالت: «أنا سعيدة بعودتكما».

قال الأخ الأصغر: «انظري ماذا أحضرنا إليك، هذان حفيداك تعالي وخذيهما!».

سألت الجدة: «أيها الصبيان التعيسان، أنتما دائماً ما تقومان بعمل أحمق، أين زوجتكما؟».

كانت الإجابة: «لقد قتلتها!».

«لماذا فعلت ذلك؟».

«لم أرغب أن أدع أبي، إله الشمس، يأخذهما بعيداً. أنا أعلم انك لا تكترثين بأمر زوجتي، ولكني أعلم أيضاً أنك ستكونين مولعة بحفيديك، ها هما».

ولكنها لم تنظر على الإطلاق. أطرق الأخ الأصغر رأسه وحمل الصغيرين بين ذراعيه وقال: «أنت جدة غير طبيعية! هذان حفيدان صغيران لطيفان من أجلك».

فقالت الجدة: «وماذا سأطعمهما؟ أو ماذا سأفعل بهما؟».

أجاب: «اعتني بهما، اعتني بهما!».

Twitter: @ketab_n

وألقت الجدة نظرة عليهما. وعندها انقلبت إلى جدة حقيقية. ركضت وحملت الصغيرين، وهي تناديهما: «دعوني آخذكما بعيداً عن ابني التعيسين!» وصنعت لهما أسرة من الرمل، كما تفعل الأمهات في زوني اليوم، وأحضرت بعض الجلود الناعمة من أجلهما ليستلقيا عليها، وأطعمتهما بنوع من الحليب المصنوع من الذرة المحمصة المخلوط بالماء، حتى يكبرا ويصبحا طفلين رائعين.

هذا ما حدث في زمن الأقدمين، وقصوه علينا في هذه الأيام، وهو أن حتى أقسى الآلهة وأشدها عنفاً تقوم بهذه الأشياء. حتى أنهما أخذا هذين الطفلين الذين لا حول لهما ولا قوة إلى جدتهما، التي قامت بتربيتهما إلى أن كبرا. لهذا فإن من واجب أولئك الذين يعثرون على أطفال ضعفاء، على اعتبار أنهم ليسوا بقسوة وضراوة إلهي الحرب، الاعتناء بهؤلاء الأطفال وتربيتهم حتى ينضجوا، فيستطيعوا الاعتماد على أنفسهم. لهذا عندما يعثر قومنا على أطفال منبوذين يعتنون بهم كأنهم أطفالهم.

وكانت حكايتي هذه طويلة.

Twitter: @ketab_n

ربيب الغزال

تصادف مرة في الزمن البعيد الموغل في القدم أن عاشت في «هاويكوكويا» فتاة فائقة الحسن والجمال، نذرها والدها الذي كان كاهناً عظيماً، لأمور مقدسة، ولهذا احتفظ بها مذ كانت صغيرة داخل المنزل بعيداً من أنظار الرجال، فكبرت هكذا.

كانت جميلة جداً لدرجة أن إله الشمس كلما سنحت له الفرصة لينظر من خلال أحد خيوط نوره المتسللة عبر شق في السقف أو من كوة السقف أو أي نافذة من القسم العلوي من منزل الحسناء، كان ينشغل بتأملها ويتعجب من جمالها النادر، من دون أن يملك القدرة على مقارنته بأي شيء رآه في رحلاته العظمية حول العوالم. ولهذا وبينما كانت الفتاة تكبر لتصبح شابة وقع إله الشمس في حبها بشغف وبمرور الوقت غدا متيماً بها إلى حد أنه هبط إلى الأرض على متن خيوط أشعته ودخل إلى منزلها فجأة حين كانت تحيك سلالاً جميلة، ووقف في مواجهتها بإهاب شاب متألق، بملابس فاخرة. نظر إله الشمس

Twitter: @ketab_n

إلى فتاته الحسناء برقة ومحبة وبادلته النظرات بدون خوف أو وجل، فكان أن أحبا بعضهما بعضاً وغدت زوجة له. وكانت الأيام التي زارها فيها كثيرة، فأقام معها لفترة في وقت الظهيرة، ولكن لأنها بقيت وحيدة في أغلب الأحيان أو كانت جالسة تلوح بأطباقها عند دخول أي فرد من العائلة إلى غرفتها، لذلك لم يشك أحد بالأمر.

ولأنها كانت تعلم أنها مكرسة لأشياء مقدسة، وأنها لو قامت بشرح كيف أصبحت أماً فلن يصدقها أحد فقد أجهدت عقلها وقلبها في التفكير حتى توصلت إلى قرار بأن تبعد طفلها عنها عندما يولد. وعندما حان الوقت، وولد الطفل في إحدى الليالي، لفت الوليد الصغير بنعومة في دثار من القطن وعند منتصف الليل تسللت بخفة من فوق الأسطح ونزلت بصمت ووضعت الطفل على الجانب المحمي من ركام نفايات بجانب جدول صغير يجري بجانب هاويكوكويا في الوادي بالأسفل. وبدأت تبكي كأم مفجوعة على ذريتها، ثم عادت المسكينة إلى غرفتها وألقت بنفسها لتستريح.

وحين بدأ ضوء النهار يشق طريقه من الشرق فتخرج التلال والوديان واحدة إثر أخرى من ظلال الليل، نزلت غزالة مع

Twitter: @ketab_n

طفليها الصغيرين المنقطين من التلال نحو الجنوب عبر الوادي وهي متيقظة الحواس ثم توقفت عند الجدول لتشرب. وعندما همت بالشرب راعها صوت رضيع يبكي، فنظرت نحو الأعلى ورأت غباراً وقماشاً قطنياً وأشياء أخرى تتطاير في الهواء، كأن زوبعة صغيرة كانت تقذف الأشياء من طرف ركام النفايات حيث استلقى الطفل. كان الطفل الذي استيقظ ووجد نفسه وحيداً جائعاً، يرتجف من البرد، قد بدأ في البكاء وتحريك يديه الصغيرتين.

نادت الغزالة الأم طفليها: «يا لسعادتي! لقد عثرت اليوم على طفل لقيط، وعلى الرغم من أنه بشري إلا أنه سيكون لي، فأنا يا أولادي الأعزاء أحبكما كثيراً لدرجة أنني أستطيع أن أحب طفلاً آخر معكما».

وهكذا اقتربت من الرضيع الصغير، وأحاطته بأنفاسها الدافئة ولاطفته حتى هدأ وبعد أن لفته بالقماش رفعته برقة على قرنيها العريضين واستدارت ومضت بعيداً نحو الجنوب يتبعها طفلاها من الجانبين، وصياحهما يعلو تعبيراً عن فرحتهما.

كان منزل هذه الغزالة الكبيرة وأولادها الصغار، حيث ولد جميع أطفالها عبر السنوات، يقع جنوب هاويكوكويا

Twitter: @ketab_n

في الوادي الذي يلتف حول نتوء صخري قرب ينبوع صغير يدعى بوشان. هناك في ظل أجمة من أشجار الصنوبر والسدر يقع ملجأ ناعم ودافئ في الصيف والشتاء، حيث كان مخبأ الغزالة وصغيريها.

في الصباح التالي بدت الغزالة مسرورة بقدر ما كانت متفاجئة إذ وجدت أن الرضيع كبر بسرعة، فقد أرضعته من حليبها صباحاً وقبل غروب الشمس بدأ الطفل يحبو. وكم كان وقع المفاجأة عليها كبيراً عندما رأت أنه بمرور الأيام صار الطفل يكبر بسرعة أكثر من طفليها. ويا للعجب! ففي مساء اليوم الرابع أخذ الطفل يركض ويلعب مع شقيقه وشقيقته بالرضاعة، وكان سريعا جداً. ويا للعجب! وكي تزيد الدهشة أكثر وأكثر، أصبح في اليوم الثامن شاباً يبهج النظر، وكان يراقب نفسه ويرى أنه من دون ثياب ويتساءل لماذا لا يرتدي ثياباً مثل أخيه وأخته من الشعر الناعم الدافئ ذي البقع الجميلة.

وبمرور الوقت (علينا أن نتذكر أنه من سلالة إله الشمس نفسه) كبر هذا الطفل ربيب الغزال وهو يلعب مع أخيه وأخته ويجري هنا وهناك، وأصبح قوياً جداً وأخف حركة حتى من الغزلان نفسها وتعلم لغة الغزلان وطريقة حياتها.

Twitter: @ketab_n

وعندما أحاط بما يجب على الغزال معرفته، قادته الغزالة الأم إلى البراري وعرفته على القطيع العظيم الذي تنتمي إليه. فكان أفراد القطيع في غاية السعادة لهذه الزيادة، وأحبوه كثيراً، ولأنه كان ذكياً جداً فقد أصبح خلال فترة قصيرة قائد الغزلان في منطقة هاويكوكويا.

ترأس الشاب الرشيق قطيع الغزلان وبقر الوحش كلما انطلقت لتجوب السهول والتلال جيئة وذهاباً. وقد أصبح أخمص قدميه قاسياً كحوافر الغزلان، وأصبح جلده قاسياً وغامقاً، وشعر رأسه طويلاً ومتموجاً وناعماً كشعر خاصرة الغزلان أنفسهم.

وحدث في صباح يوم من أواخر أيام الصيف، أن عم الفتاة التي تخلت عن طفلها خرج للصيد، واتخذ الطريق جنوباً نحو بوشان، المنطقة التي تقيم فيها الغزالة الأم وربيبها البشري. وعندما همّ باجتياز حدود الأجمة الكبيرة شاهد قطيعاً كبيراً من الغزلان مجتمعاً كما يتجمع البشر في مجالسهم. كان أفراد القطيع صامتين وبدوا يصغون بانتباه إلى كائن يتوسطهم. تسلل الصياد بحذر على يديه وركبتيه بين الشجيرات حتى اقترب، ولدهشته لم يصدق ما رآه، إذ شاهد في وسط الغزلان، شاباً رائعاً، عريض المنكبين، طويلاً قوياً، يجلس عارياً على

Twitter: @ketab_n

الأرض، وبدت الغزلان الصغيرة والكبيرة تصغي بانتباه إلى ما يقوله. فرك الصياد عينيه ونظر ثانية وأمعن النظر وهو يغطي عينيه بيديه. ثم رفع نفسه ليقترب أكثر، ولكن عيني الشاب الحادتين اكتشفتا وجوده. وبلمح البصر قفز على قدميه وأسرع بعيداً مثل الريح وتبعه القطيع بكامله وصوت حوافرهم يدوي كالرعد وسرعان ما اختفوا عن الأنظار.

اسقط الصياد قوسه ووقف هناك مدهوشاً، ثم عاد والتقطه والتفت عائداً نحو هاويكوكويا بأسرع ما يستطيع. وعندما وصل حدّث والد الفتاة بما رآه. جمع الكاهن العجوز الصيادين والمحاربين وطلب من العم أن يعيد رواية القصة، وقال العديد منهم: «لقد رأيت شبحاً أو نذير شؤم على عائلتك، وأسفاه! وأسفاه!».

قال العم: «لا، لقد نظرت ونظرت ثانية، وأمعنت النظر وأنا أعترف أن ما رأيته كان بشرياً فانياً مثل الغزلان نفسها».

واقتنعوا أخيراً وقرروا القيام بحملة صيد كبيرة، وتم الإعلان من فوق أسطح المنازل عن بدء حملة صيد كبيرة في اليوم الرابع بدءاً من ذلك اليوم، وأن الأجمة الجنوبية يجب محاصرتها وعلى الجميع أن يجمعوا من كل حدب وصوب

Twitter: @ketab_n

ذلك القطيع من الغزلان هناك، حتى لا تفوتهم فرصة رؤية ذلك الشاب الرائع، أو ربما استطاعوا الإمساك به.

وبعد أن قطعت الغزلان مسافة آمنة خففت عدوها السريع، ونادت على قائدها وطلبت منه ألا يخاف. وقامت الغزالة الأم للمرة الأولى بإطلاع الشاب عن كونه ابناً للبشر وأخبرته كيف عثرت عليه، وهي القصة التي أخبرتها للجميع منذ وقت طويل.

جلس الشاب وقد أحنى رأسه، يفكر في هذه الأشياء، ثم رفع رأسه بفخر وقال: «لماذا سأكون ابناً للبشر، فهم لم يحبوني، وقد أبعدوني عنهم، ولهذا سأكون مخلصاً لقطيعي فحسب».

ولكن الغزالة الأم قالت له: «اهدأ يا بني! أنت لست سوى بشري وقد تستطيع أن تعيش على جذور الأشجار والشجيرات والنباتات التي تنضج في الخريف، ولكن بالتأكيد لن تستطيع الصمود في الشتاء، حين سينضب حليبي وستختفي الفواكه والجوز تماماً».

واجتمع حوله الأعضاء الأكبر سناً من القطيع وكرروا ما قالته الغزالة الأم، وقالوا: «نحن نعلم أنه سيتم صيدنا الآن كما هي العادة عندما يتم اكتشاف قطيع، في اليوم الرابع عقب اليوم

Twitter: @ketab_n

الذي نشاهد فيه لأول مرة. ومن بين الناس الذين سيحضرون إلى هنا، لابد من أن يبحث عنك بعضهم، وعليك ألا تحاول الهرب. حتى نحن اعتدنا على التضحية بحياتنا للصيادين الشجعان من بين هؤلاء القوم، فالعديد منهم يكرسون لنا قلوبهم وعقولهم، ويقدمون لنا الأضاحي الواجبة كي تتواصل حياتنا بأشكال أخرى إلى الأبد».

ثم نهض غزال رائع من بين القطيع وتقدم نحو الشاب وألصق خده بخده وقال: «ومع ذلك فنحن نحبك، ولكن علينا الآن الافتراق عنك، حتى تعود مثل باقي البشر وتتفوق عليهم، تعال معي إلى أرض أرواح البشر، حيث يجلس في مجلس الآلهة المكرسة للرقص والمسرح، إله عالم الأرواح».

اقتنع الشاب بعد كل هذا ووافق، وفي اليوم نفسه انطلق الغزال الذي حدثه وركض الشاب إلى جانبه نحو بحيرة الموتى. وأسرعا في الطريق إليها ووصلا إلى أطراف تلك البحيرة عند حلول الظلام، وكانت الأضواء تسطع فوق منتصفها وفوق حدائق الرقص المقدس. وكانت الممثلة العجوز والممثل العجوز يمشيان على الشاطئ جيئة وذهاباً وهما يناديان على بعضهما.

Twitter: @ketab_n

وما إن اقترب الغزال من شاطئ البحيرة، حتى التفت وقال لصاحبه: «تقدم معي بجرأة، سترتفع سلالم من قصب لاستقبالك، وستنزل بنا إلى تحت الماء نحو القاعات العظيمة للأموات والرقص المقدس وسنحمل برقة وخفة».

ثم خاضا في البحيرة التي أصبحت أكثر تألقاً، ونهضت من المياه سلالم عظيمة من القصب والألواح وحملت على متنها الغزال وصاحبه نحو الأسفل إلى قاعات فخمة مضاءة بالعديد من الأنوار والمشاعل. وفي القاعة الكبرى كانت الآلهة مجتمعة في المجلس وهي صامتة. باوتيوا، كاهن الشمس للرقص المقدس (كاكا)، شولاويتسي إله النار مع مشعله الأبدي اللهب، والعديد من الآلهة الأخرى كانت هناك أيضاً، وعندما وصل الغريبان ألقيا التحية على الحاضرين الذي رحبوا بهما أيضاً ومنحوهما مكاناً ليجلسا فيه في ضوء النار المركزية. وقدمت صفوف الراقصين الطويلة من الأبواب الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية، الذين عبروا بحيرة الموتى، يرتدون عباءات قطنية بيضاء كضوء النهار ومزخرفة بشكل رائع ومزينة بالعديد من الأصداف الثمينة والأحجار الفيروزية. وقاموا بطقوسهم المقدسة لإسعاد الآلهة وإثارة دهشة الغزال وأخيه بالرضاعة.

Twitter: @ketab_n

وعندما انتهى الراقصون وانسحبوا من القاعة، نهض كاهن الشمس للرقص المقدس، وقال: «ماذا تريدان؟ ماذا تريد أيها الغزال القادم من أجمات الغابة مع صاحبك، أخيك بالرضاعة، فلا أحد يزور منزل كاكا إلا ولديه شيء يطلبه» (على الرغم من أنه يعلم مسبقاً).

عندئذ رفع الغزال رأسه وقص حكايته.

قال الإله: «هذا حسن».

قال باوتيوا لشولاويتسي: «اظهر أيها المخلص». وظهر شولاويتسي وحرك شعلته حول الشاب حتى أصبح مقتنعاً بأصله البشري واعتماده على الطعام المطبوخ بالنار. ثم اجتمعت الآلهة التي تتحدث لغة البشر حول الشاب ونفخوا أنفاسهم عليه ولمسوا شفتيه بنداوة من شفاههم ولمسوا فتحات أذنيه بزيت من آذانهم وهكذا أصبح الشاب قادراً على الحديث وفهم لغة البشر. ثم نادت الآلهة عليه وجلبت أردية رائعة من القطن الممتاز مزخرفة بالعديد من الألوان، وقلائد نادرة من الأصداف المقدسة مع العديد من الأحجار الفيروزية والمرجان والأصداف في المنتصف، والتي كانت من أجمل الألبسة التي يمجد بها القدماء أنفسهم في تلك الأيام. وجمعت هذه الأشياء التي أحضرتها في صرة ووضعتها

Twitter: @ketab_n

عند قدمي الشاب، ثم قالت: «أيها الشاب، أيها الأخ والأب، بما أنك ابن إله الشمس، والذي هو أبونا جميعاً، فامض قدماً مع أخيك بالرضاعة، إلى مكان اللقاء الأخير معه ومع قومه، وبعد غد سيجتمع الصيادون من مختلف أنحاء البلاد، وبعضكم أيها الغزلان» والتفت نحو الغزال «سيضحي بنفسه ويموت كما هو المحتم أبداً على نوعكم أن يستمر بالموت من أجل أخيك هذا».

فرد الغزال ببساطة: «سأرشده إلى الطريق».

«شكراً».

وأكمل باوتيوا: «قريباً ستحضر لتكون بيننا، أو مع الرياح والضباب في الليل، ستتسلى مدى الحياة. امض الآن، واحمل هذه الصرة، و«أفضل ما تعرف حضر هذا الاستقبال للأب وابنه بين البشر. وأيها الابن والأب». أكمل الكاهن وهو يوجه حديثه للشاب: «لا تخف! ستكون سعيداً في الأيام القادمة معززاً بين البشر، بسبب أصل ولادتك. عد مع الغزال وافعل كما قلنا لك. سيقوم عمك بقيادة الكهنة الشبان إلى الصيد، وسيقوم بمطاردتك أنت وأمك بالرضاعة. قده بعيداً وما إن تفعل ذلك توقف عن العدو والتفت وانتظره، واذهب معه بسلام إلى المنزل حيث يأخذك».

Twitter: @ketab_n

بدأت أصوات الرقصات تأتي من الغرف الخارجية، وغادر الشاب والغزال مصطحبين معهما تلك الصرة. وأسرعا بالعودة أكثر من سرعتهما في بالقدوم، وفي الصباح وبينما كان صيادو هاويكو كويا يجهزون أنفسهم، اجتمعت الغزلان في قطيع كبير في الأجمة الجنوبية، وشكلوا دائرة حول الشاب وأرشدوه كيف يحل الصرة التي أحضرها معه. ثم اقترب الغزال من الشاب أكثر وطلب إليه الوقوف وهو عار، وبدأوا بالجري حوله بخفة وهم يتنفسون بشدة حتى أحاط به البخار الساخن ونظفه من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، وهكذا عاد نقياً وأصبح جلده ناعماً وتدلى شعره برقة متموجاً خلف رأسه. ثم ارتدى الشاب ثيابه، قطعة قطعة، كما رأى إله الرقص المقدس والراقصين يرتدونها، ووضع بين شعره تحت العصابة التي ثبتها على جبينه الريش المتوهج للببغاء والذي أعطوه إياه. ثم رأى أن هناك قطعة واحدة متبقية، وهي خيط صغير من الأصداف المخروطية، سأل عما يكون هذا الشيء، فأخبره الغزال بأن يربطها حول ركبته.

اجتمعت الغزلان حوله مرة أخرى، وقال الغزال الأكبر: «من منكم مستعد للموت؟»، وكما لو أنهم ذاهبون إلى احتفال، تقدم العديد من الغزلان تطلب الموت، حتى اجتمع عدد كبير منها، مستعدة غير هيّابة. ثم بدأت الغزلان بالتحرك.

Twitter: @ketab_n

وسرعان ما دوى الإنـذار، وتـرددت أصداؤه في الشمال والغرب والجنوب والشرق. وبدأت الغزلان بالتفرق، لتجتمع وتفترق ثانية. وأخيراً وصل الصيادون حاملين أقواسهم وبدأت سهامهم تصيب قلوب الغزلان التي كرست أنفسها للموت، فسقطت واحداً إثر آخر تحت السهام التي اخترقت قلوبها أو أجزاء حيوية أخرى من أجسادها.

بقي في النهاية القليل جداً منها ومن بينها الغزالة الأم اللطيفة وطفلاها، وفي المقدمة الشاب الرائع، على الرغم من أن ثوبه الجديد كان يعيقه بعض الشيء. ركضت وركضت وتبعها صيادو هاويكوكويا ولكنهم جميعاً تخلفوا ما عدا العم وأولاده الشجعان. وسرعان ما قتل الغزال شقيق الشاب بالرضاعة فتملك الغضب الشاب والتفت إلى الخلف ولكنه تذكر كلمات الإله مرة أخرى وعاود الإسراع ثانية، ثم قتلت شقيقته بالرضاعة ولكنه استمر حتى لم يبق سوى والدته بالرضاعة تجري إلى جانبه، وفي النهاية تغلب العم وأبناؤه على الأم العجوز وأمسكوا بها وأخذوها بعيداً وهم يقولون: «آخر من بقي مخلصاً لهذا الشاب» ومن ثم عاودوا مطاردة الشاب، الذي أخيراً ادعى التعب وواجه الصيادين واقفاً مثل السفينة

Twitter: @ketab_n

في خليج. وما إن اقتربوا منه حتى أنزل ذراعيه وأخفض رأسه وقال لهم، باعتبار أن الآلهة قد أخبرته من الذي سيعثر عليه: «يا عماه، يا عماه، ما الذي فعلته؟ قتلت إخوتي وأخواتي، فما الذي ستفعله بي؟».

توقف الشيخ ونظر إلى الشاب معجباً بمظهره وقال: «لماذا دعوتني بعمك؟».

أجاب الشاب: «لأنك وكما يبدو عمي، وإنا ابن أختك، فأمي الحسناء ولدتني وألقت بي بعيداً بجانب ركام القمامة حيث عثرت علي الغزالة النبيلة واعتنت بي».

استمر العم وأبناؤه بالنظر إليه في تعجب، ثم اعتقدوا أنهم رأوا في صفاء عينيه ووجهه البيضاوي الرقيق شبهاً بوالدته، وعندها قالوا: «لا شك أن ما يقوله حقيقي». ثم استداروا عائدين وقد أمسكوا بيده برفق وأرشدوه نحو هاويكوكويا في حين أسرع أحدهم ليتأكد من صحة أقواله.

وعندما وصل الرسول إلى هاويكوكويا اتخذ طريقه مباشرة نحو منزل الكاهن، وأخبره بما سمعه. فاستدعى الكاهن الفتاة غاضباً.

Twitter: @ketab_n

قال الكاهن: «يا ابنتي، هل ارتكبت الفعلة التي أخبروني عنها؟».

قالت الفتاة: «لا، لم أفعل شيئاً مماثلاً».

خاطبها الكاهن العجوز بقسوة كبيرة: «أجل لقد فعلت، أيتها الأم المتوحشة! من كان الأب؟».

أحنت الفتاة رأسها وهي تفكر في عاشقها إله الشمس وهزته إلى الأمام والخلف وبكت بحرقة. ثم قالت: «أجل هذا صحيح، صحيح لدرجة أني خفت غضبك، يا أبتاه! لقد خفت العار، أماه ماذا كان باستطاعتي أن أفعل؟»، ثم أخبرتهم عن عاشقها، إله الشمس، وهي تبكي وصرخت: «أعيدوا إلي طفلي حتى اعتني به وأحبه وحده وأراه أباً!».

في ذلك الوقت كان الصيادون قد وصلوا بعضهم يحمل الطرائد والآخرون يحيطون بالشاب الرائع، الذي حدق فيه كل رجل وامرأة في هاويكو كويا بفرح وإعجاب. اصطحبوه إلى منزل جده الكاهن وكأنه يعرف الطريق دخل غرفة والدته، التي نهضت وفتحت ذراعيها لاستقباله، وألقت بنفسها على صدره وبكت كثيراً، ووضع الشاب يده على رأسها وقال: «أماه لا تبكي، فقد عدت إليك وسأعتني بك».

وهكذا أعيد ربيب الغزلان إلى والدته وقومه.

Twitter: @ketab_n

كان الشاب حكيماً وذا معرفة بأمور الغزلان ولغتها، وكان من الممتع مشاهدته وهو يتفاهم مع الغزلان. بذل الشاب نشاطاً قليلاً كصياد، فقد أدرك مقدرته الخاصة ودرايته الخفية بطقوس صيد الغزلان التي ترحّب بها وتجعلها في الوقت نفسه سعيدة بتقبل الموت على يدي الصياد. وبعد وقت طويل، غدا نجاحه ومعرفته واسعين وأصبح ذا قيمة عالية جداً في أعين سادة الحياة، فبإرادته وقوة ذراعيه استطاع إطعام كامل قبيلة هاويكوكويا وتأمين الكساء لها من جلود الغزلان.

وتزوج فتاة رائعة ونادرة الجمال وبلغ قمة سعادته معها.

وكان من عادته أن يذهب في الصباح الباكر عندما تحضر الغزلان لتشرب أو تتمدد وتمشي وتأكل العشب، فيأخذ قوسه وكنانة سهامه ويذهب إلى الأجمة البعيدة وينادي الغزلان حوله ويتبعها بخفة وهو يركض ويصيبها بأعداد كبيرة ثم يعود إلى قومه ويقول لهم: «اذهبوا وأحضروا طرائدي، وأعطوني القليل مما اصطدته واحتفظوا بالباقي لأنفسكم».

وهكذا تستطيعون وبسهولة أن تروا كيف أصبح قومه أعظم الناس في هويكوا وكيف استبدت نيران الغيرة بمشعوذي القبيلة من ثرائهم، مما دفعهم لمحاولة القضاء عليه بشتى الطرق، التي حكم عليها الفشل جميعها.

Twitter: @ketab_n

أخيراً وفي إحدى الليالي رفع رئيس المشعوذين صوته منادياً ليجمع حوله كل المشعوذين في المكان، ثم دخلوا كهفاً عميقاً واسعاً مضاءً بمشاعل خضراء متوهجة، وهناك حدقوا ببعضهم البعض، وصمموا على التخلص من ذلك الشاب الرائع ابن الشمس.

وقف احد أعضائهم وقال: «سأدمره فيما يبرع فيه أكثر، إنه صياد، والذئاب تحب اللحاق بالصيادين». استقبلت كلماته بالموافقة وقام الشاب الذي عرض الفكرة ومضى تلك الليلة ليستعد ويحضر تعويذاته وليتنكر بمساعدة أدواته الجهنمية.

في صباح اليوم التالي، عندما ذهب الشاب للصيد، تسلل ذئب عجوز خلفه بعد أن وصل إلى الأجمة، تبعه خلسة وانتظره حتى ينتهي من صيد الغزلان. وعندما انتهى الشاب من صيد عدد من الغزلان جلس ليستريح على جذع شجرة، فتسلل القيّوط حتى أصبح في مرأى النظر. فكر الشاب وهو ينظر إليه: «لعله جاء يسعى خلف دماء الغزلان التي اصطدتها»، وواصل أداء صلواته وتقديم أضاحيه للغزلان الميتة. ولكن سرعان ما انتفضت عضلاته وهو يرى القيّوط يعدو نحوه بسرعة عبر الفراغ والدخان يخرج من فمه ومنخريه، ويلقي بنفسه عليه

Twitter: @ketab_n

لينهض رجل، له هيئة الرجل نفسه الذي قدم خدماته لمجلس المشعوذين، في حين ركض الشاب المسكين، بعد أن غدا في إهاب ذئب وإن ظل بشرياً في عقله وقلبه.

وهام الشاب على وجهه نحو الجنوب وذيله يثير الغبار خلفه، وبدأ يشعر بالجوع في حين عزم ألا يأكل، وأمضى الليلة على طرف الأجمة وهو يشعر بالبرد، وفي الصباح التالي استمر بالتجوال حتى تملكه الجوع ولم يعد باستطاعته أن يمضغ أطراف الحشائش أو يأكل ثمار العرعر. وأصبح مريضاً ومتعباً، وفي إحدى الليالي بينما كان يبحث عن مكان دافئ ليستلقي فيه ويموت، رأى ضوءاً احمر صغيراً يتوهج على قمة رابية. اتخذ طريقه نحو الضوء، وعندما أصبح قريباً منه، اكتشف أنه يشع من خلال فتحة سقف منزل أحدهم. ورفع رأسه ونظر من فوق الحافة ورأى غريراً عجوزاً مع زوجته ذات الشعر الأشيب، يجلس قرب النار، ولكن ليس في هيئة الغرير بل في هيئة رجل صغير، وكان جلد الغرير خاصته معلقاً إلى جانبه.

وقال الشاب في نفسه: «سألقي بنفسي إلى منزلهما، وأريهما حالتي المزرية» وبينما كان يحاول نزول السلم تعثر وسقط على الأرض أمامهما.

Twitter: @ketab_n

شعر الغريران بالقرف، وأمسكا بالقيّوط وجراه على السلم وألقيا به في العراء حيث سقط بعيداً جداً وأغمي عليه. ولما عاد إليه وعيه استدار مرة أخرى نحو كوة السقف المضيئة وزحف عائداً بضعف، وألقى بنفسه إلى الغرفة ثانية. ومرة أخرى رمياه خارجاً، ولكن في هذه المرة قال الغرير: «إنه لأمر عجيب أن يصر هذا الذئب، هذا المخلوق التعيس على العودة مرة بعد أخرى».

قالت زوجته الصغيرة: «لقد سمعت أن الشاب الرائع المحبوب في هويكوا قد تغير إلى ذئب منذ بعض الوقت، قد يكون هو. دعنا نتأكد إن كان هو عندما يعود ثانية، بحق الآلهة دعنا نر».

ولم يمض وقت طويل حتى حاول الشاب ثانية نزول السلم، ثم سقط على الأرض أمامهم. استلقى لوقت طويل هناك فاقداً وعيه، ولكنه في النهاية فتح عينيه ونظر حوله. وسأله الغرير إذا كان هو الشاب الذي تحول إلى ذئب أو حكم عليه أن يحيا في شكل ذئب. ولم يكن الشاب قادراً إلا على تحريك رأسه بالموافقة.

وقام الغريران بجمع بعض الأعشاب ووضعاها في وعاء لتغلي، وعندما أصبحت جاهزة قاما بسكب السائل في فم القيّوط وحملاه برقة وربتا عليه. ثم جعلاه يستلقي إلى جانب

Twitter: @ketab_n

النار حتى يتدفأ. ثم قام الغرير العجوز بالبحث في وجاره، وعثر على حجر مقدس من الكريستال وجعله يسخن عبر تعريضه لحرارة النار، وأحرق راحتي يدي الشاب، وأخمص قدميه، وقمة رأسه، وهو يكرر تعويذة بينما يقوم بذلك، وعندها احترق الجلد وسقط بدا الشاب مستلقياً أمامهم شاحباً وضعيفاً. واعتنى الغريران به بأفضل ما يمكنهما حتى تعافى تماماً وعندها أرسلوه لينضم إلى قومه ثانية ويعيد إليهم سعادتهم. عاد الشاب إلى قومه مرتدياً أفضل ثيابه، والسعادة تشع من محياه، وسيماً كسابق عهده، وتبعاً لعادته رجع وهو يحمل غزالاً على ظهره، وهناك عاش بين قومه بمنتهى السعادة.

وكما قلت من قبل، هذا ما حدث في قديم الزمان، ولأن هذا الشاب عاش طويلاً بين الغزلان وتعلم لغتها وعاداتها، فقد علم كل ما يعرفه لأولاده ولآخرين من أصدقائه، حيث أصبح لدينا اليوم في القبيلة طبقة من الرجال تعرف بالصيادين المقدسين، الذين يفهمون طرائق ولغة الغزلان تماماً.

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

الفتى الصياد الذي لم يتقدم بالأضاحي للغزلان التي اصطادها

أو كيف نشأت الأفاعي المجلجلة

في الزمن الموغل في القدم، عاش في تايا[1] عند سفوح جبال زوني كبير كهنة شيخ، لديه ابن لقب باليد الحديدية، إذ كان مشهوراً في أراضي زوني بتفوقه في الصيد.

قال هذا الفتى لوالديه عندما كان صغيراً جداً: «يا والديّ، اتركاني أمضي بعيداً عن منزل الأجداد لأحيا بمفردي».

«أيها الفتى الصغير، لماذا تريد أن تعيش وحيداً؟ يا بني ألا تعلم أن ارتحالك لن يكون سهلاً، لأنك مهمل وكثير النسيان؟ لا، لا! ستبقى معنا وهكذا سيتسنى لنا الاعتناء بك».

ولكن الفتى أجاب: «لماذا سيكون ارتحالي سيئاً؟ ألا أستطيع صيد طريدتي وشي اللحم على النار؟ بلى ولكنكم لا تهتمون بأن أتقدم في درب حياتي كوني أرغب في العيش بمفردي، فأنا أتوق

(1) الاسم الأصلي لمدينة لاس نوتريس في زوني (م).

Twitter: @ketab_n

للسفر بعيداً واصطياد الغزلان في العديد من جبال البلاد، وكلما بدأت بالتقدم تعيدوني إلى الخلف. إنه مما يؤلمني أن تشدوني إلى الوراء عندما أرغب في المضي قدماً».

ولم يمض وقت طويل قبل أن يكرر الفتى حديثه مرة بعد أخرى، إلى أن رضخ والداه لمشيئته ونزلا عند مطلبه. ولكنهما أصرا على أن يصطحب معه أخته الصغرى واياسيلوهتيسا، لتقوم على رعاية المنزل ولتذكره بين حين وآخر بما ينساه، مما أزعج الفتى. وهكذا اختار الأخ والأخت الغرف العالية في منزل مرتفع في القسم الأعلى من القرية الصغيرة واستقرا هناك.

كان الصبي يخرج كل يوم للصيد دون أن يفشل أبداً في العودة إلى المنزل بصيده من ذبائح الحيوانات في حين كانت أخته تطبخ له وتعتني بالمنزل. وعلى الرغم من أن الفتى كان صياداً عظيماً، لكنه لم يضح أبداً للغزلان التي يذبحها، ولا لآلهة الصيد التي تفرح بمساعدة الصياد الذي يذكرها، فقد كان دائماً ينسى ويهمل كل شيء.

وفي يوم من الأيام مضى عبر الجبل نحو الشمال، حتى وصل إلى مياه الدب[1]. هناك وجد أثر غزال كبير فتبعه نحو الشمال.

(1) نبع الدب، حيث يقع الآن حصن وينغات (م).

Twitter: @ketab_n

وعلى الرغم من خفة الصبي، إلا أنه لم يتمكن من مواكبة الغزال الذي واصل العدو، وما انتهت إليه المطاردة أنه استمر في الركض فعبر الأجمات والوديان والجبال حتى وصل إلى ضفة نهر عظيم يسير نحو الغرب من الشمال[1]، وتنمو على ضفاف هذا النهر غابات من الأشجار، وقاده الأثر إلى أكثرها كثافة ومباشرة نحو ضفة النهر. لكن وبينما كان الفتى على وشك تتبع الأثر إلى الضفة، لمح تحت شجرة كبيرة في وسط الأجمة الكثيفة الغزال، وهكذا انحنى وركض حول الأجمة ليقترب من الضفة حتى أصبح بين النهر والأجمة.

وبينما هو يقترب تدريجياً من الشجرة، وعيناه تتبعان الأثر، نظر إلى الأعلى واكتشف وجود شاب وسيم يرتدي افخر الثياب. نادى عليه الشاب وقال: «كيف حالك هذه الأيام؟ وما الذي تفعله؟».

انتصب الفتى واقفاً واستجمع أنفاسه سريعاً وأجاب: «أنا أطارد غزالاً تبعت آثاره من نبع الدب كل المسافة إلى هنا».

تساءل الغريب: «أحقاً هذا! وأين اختفى هذا الغزال؟».

(1) هو على الأرجح نهر «جرين»، أو رافد مهم من روافد نهر كولورادو الكبير (م).

Twitter: @ketab_n

أجاب الفتى: «لا أعلم، فهذه آثاره، عندها لاحظ الفتى أن الآثار تنتهي حيث كان الغريب جالساً، وعندها قال هذا الأخير: «أنا هو الغزال، وأنا من أغريتك بالقدوم إلى هنا».

تعجب الفتى من ذلك، ولكن الغريب أكمل حديثه: «وأسفاه! وأسفاه! أيها الصبي شديد النسيان! يوماً بعد يوم، طاردت أبنائي عبر السهول وقتلتهم وسعدت بأكل لحمهم، وأطعمت منه أقربائك وأنسابك، ولكن وأسفاه! لقد كنت مهملاً وناسياً، فلم تهب لأرواحهم ولا مرة واحدة الراحة الأبدية التي يتوقون إليها ويحتاجون إليها بشدة، رغم حظك الجيد في الصيد. وأخيراً استمع إله الشمس إلى توسلات أبنائي وأمر بأن أحضرك إلى هنا، وهذا ما فعلته. استمع جيداً! أمر إله الشمس أن تزوره في منزله عند نهاية العالم الغربية، وهذه هي أوامره».

تعجب الصبي: «أحقاً هذا! أعتقد أن علي تلبية أمره، حسن جداً!».

أكمل الكائن الغزال: «وعليك أن تسرع إلى المنزل الآن وتنادي أباك وتخبره بأن يستدعي كاهن القوس أو المحارب، ويأمره بأن يوجه أولاده لإصلاح الغرف المكرسة للأشياء المقدسة وتحضير أعواد الصلوات المزينة بالريش من أجل إله الشمس وإلهة القمر

Twitter: @ketab_n

وإله المحيط العظيم، والريش الأحمر للأضاحي المقدمة لكائنات الصيد، وأنه عليهم أن يقوموا بتجهيز كل شيء لأنك، ابنهم، ستزور منزل إله الشمس، وكتعويض عن نسيانك وإهمالك عليك أن تقدم له ولإلهة القمر، وكائنات المحيط العظيم ريش الأضاحي. أسرع إلى المنزل، وأخبر أباك بهذه الأمور، ثم أخبر أختك أن تجهّز طعاماً حلواً من الذرة المجففة ليكون زادك في هذه الرحلة، ثم اطلب من أمك أن تحضر كميات كبيرة من القطن الجديد، وضع كل هذه الأشياء في حزم، ثم استدع بعضاً من أقربائك، وتعال إلى هذه الشجرة في اليوم الرابع بدءاً من هذا اليوم. أسرع فأنت خفيف الخطى، وأخبر أباك كل هذه الأشياء، فهو سيفهمك، أليس هو كبير الكهنة؟ أليست لديه سكاكين من الصوان؟».

أجاب الشاب: «أجل، والدي لديه الكثير منها».

قال الكائن الغزال: «اختر اثنين منهما واحدة كبيرة وأخرى أصغر، وعندما تعود إلى هذا المكان، اقطع باستخدام السكين الكبيرة تلك الشجرة الكبيرة هناك، واستخدم السكين الصغيرة لتفريغها. اترك النهاية الكبيرة كما هي، ولكن بالنسبة للنهاية الصغيرة عليك أن تجعل فيها باباً مستديراً ومن داخل النهاية

Twitter: @ketab_n

الصغيرة اصنع ثلماً على شكل شرفة تطل على الخارج، ولكنه يجب أن يكون مائلاً نحو الداخل حتى تستطيع إغلاقه من الداخل باستخدام الباب الدائري، ثم غلفها من الداخل بالقطن، اجعل قاعها أكثر سماكة من الباقي، ولكن اترك فراغاً يكفيك لتستلقي على طولك أو تجلس وتأكل. واجعل في الأعلى حفرة داخلها أكبر من خارجها تستطيع أن تغلقها من الداخل بقفل خشبي. وعندما تضع في الداخل الطعام المحلى من الذرة المجففة وأعواد الصلوات المزدانة بالريش وغبار أزهار الذرة المقدسة، ادخل أنت أيضاً وأغلق الباب في آخر الجذع والفتحة في الأعلى حتى يستطيع الناس أن يدحرجوك إلى النهر. ستصادفك كائنات غريبة في الطريق، اختر من بينها من سيكون رفيقك، وتابع كما يرشدك مرافقوك نحو الجبل العظيم حيث تدخل الشمس. أسرع وأخبر أباك هذه الأشياء». وقبل أن يستطيع الصبي أن يقول: «حسناً فليكن» أو «سأفعل» اختفى الكائن الغزال ورفع الصبي رأسه ومضى بخفة نحو ديار قومه.

عند غروب الشمس نظرت الشقيقة من سطح منزلها المرتفع ولكنها لم تستطع أن ترى أخاها قادماً من أي مكان. واستدارت في النهاية كي تدخل، وهي تفكر وتقول في نفسها: «وأسفاه!

Twitter: @ketab_n

لماذا لم نفكر ونتوقع نتائج إهماله»، ولكن في الوقت الذي كانت فيه البلاد تغرق في الظلمة، دخل الشاب مقطوع الأنفاس، وحيا أخته وجلس في المدخل.

تعجبت الأخت من كونه لا يحمل أي غزال ولا حتى أي طريدة أخرى، ولكنها وضعت الطعام أمامه، وعندما انتهى، أكلت هي أيضاً. ولكن الشاب بقي صامتاً حتى أنهت طعامها، وعندها قال: «يا أختي الصغرى، أنا متعب وأرغب بالجلوس هنا، هل لك أن تذهبي وتنادي أبانا، فأنا أريد أن أحدّثه في أمور مهمة».

رفعت الأخت الطعام وأسرعت لتنادي أباها. وسرعان ما عادت بصحبة الشيخ الذي كان يلهث من المجهود الذي بذله في التسلق، حيا ابنه وجلس، وهو ينظر في أرجاء الغرفة باحثاً عن لحم غزال طازج، ولما لم يجد شيئاً سأل: «لماذا طلبتني يا ولدي؟».

أجاب الابن: «من أجل هذا». وقص عليه كل ما أخبره إياه الكائن الغزال، وهو يصف ثوبه الرائع وأقراط الفيروز والصدف، والقلائد والأساور التي كان يرتديها الغريب الوسيم.

Twitter: @ketab_n

أجـاب الأب: «بالتأكيد، حسن جـداً، يجب أن ننفذ توجيهات إله الشمس».

وحالاً ذهب الأب وأمر كاهن القوس، الذي صعد إلى قمة أعلى منزل ووجه كبار القبيلة وكهنتها بقوله:

«استمعوا يا أبنائي!

فاليوم أنا سأعلمكم

أن ابننا وأبانا

هو من يصطاد الغزلان

سيذهب إلى العالم حيث تغيب الشمس

فلنحيي إله الشمس

ولنجتمع في المنازل المكرسة

ولنجهّو أعواد الصلاة، والخيوط والريش

ولنجهّز من أجله

من أجل إله الشمس

Twitter: @ketab_n

وإلهة القمر

وإله المحيط الكبير

من أجل كائنات الصيد، الريش والكنوز

في الصباح أسرعوا، أسرعوا يا أبنائي»

وهكذا اجتمع الناس في اليوم التالي في كيوتسيو والمنازل المكرسة للتقديس، وشرعوا في إعداد ريش الصلوات، في حين أم بدأت الشاب وقريباتها بإعداد الطعام المحلى من الذرة المحمصة وجمع غبار أزهار الذرة، وتم الانتهاء من كل شيء عند حلول المساء. استدعى الشاب أقاربه واختار أعمامه الأربعة لمرافقته، ونشر ما يكفي من القماش القطني ليغطي الأرض وجمعه وجعله في شكل صرة صغيرة. وملأ كيساً كبيراً من جلد الغزال بالطعام المحلى، وأخذ معه أيضاً كيساً صغيراً من الصباغ الأحمر المقدس وصباغ المحاربين الأسود الذي يحوي بعض الجزيئات اللامعة. ثم ودع قومه المنتحبين وأخلد إلى الراحة استعداداً لرحلة المساء.

في الصباح التالي، بدأ الشاب رحلته بمرافقة الكهنة، بعد أن قاموا بإلباسه ثياباً قطنية بيضاء مطرزة، فحمل الأضاحي على

Twitter: @ketab_n

ذراعيه حتى خارج المدينة، ثم رافقه أعمامه الأربعة واتجهوا نحو الجبال، ووصلوا في اليوم الثالث إلى الغابة على ضفة النهر العظيم وخيموا هناك.

ثم ترك الشاب مخيم أعمامه وذهب وحيداً إلى الغابة، واختار أكبر شجرة استطاع العثور عليها، واخترقها حتى المنتصف بسكينه الصوانية الكبيرة. وفي اليوم التالي قطع النصف الآخر وبتره، بعد أن وجده مجوفاً قليلاً. وهكذا وباستخدام سكينه الأصغر، بدأ يقطع الشجرة كما قيل له، وصنع فيها الباب الدائري والفتحة العليا. وباستخدام صرّة القطن التي أحضرها معه، بطّن الشجرة من الداخل في كل مكان حتى أصبحت وثيرة. وجعل السرير في القاع سميكاً بمثل حجمه.

وعندما أصبح كل شيء جاهزاً، وضع الطعام والريش في الداخل، ونادى على أعمامه وأراهم الجذع المجوف. وقال: «في هذا، سأرتحل نحو البيت الغربي لإله الشمس. وعندما أدخل إليه وأغلق الباب الدائري بإحكام وأضع القفل على الفتحة العلوية، عليكم ألا تفكروا بي أبداً، فقط دحرجوا الجذع حتى الحافة العليا من النهر، وادفعوه إلى النهر بدون أن تفكروا في العواقب».

Twitter: @ketab_n

وبدأ أعمامه بالنواح وحاولوا أن يثنوه عن عزمه، ولكنه أصرّ، فودعوه الوداع الأخير، وقالوا له: «اذهب، أيستطيع أحد أن يفكر في الرحيل إلى نهاية الأرض عبر المياه التي تحيط بالعالم من دون أن يموت؟».

ثم وبعجلة عانق الشاب كل واحد منهم، ودخل إلى الجذع، وأحكم إغلاق الباب من الداخل، وأقفل الفتحة العلوية ونادى: «كل شيء جاهز». سمعه أعمامه ولكن صوته كان ضعيفاً.

دحرجوا الجذع بلطف حتى الحافة العليا لضفة النهر والأسى يملؤهم، وترددوا للحظة ثم دفعوه بأعين قلقة وبصمت إلى النهر. وراقبوه بلهفة وهو يرتطم بالمياه بقوة، ثم اختفى تحت الأمواج، التي دفعته إلى الضفة المقابلة من النهر. ولكن لوقت طويل لم يتمكنوا من رؤية شيء منه، وبعد فترة رأوه في البعيد يسرع نحو المياه الغربية للعالم، ورأوا الجذع يهتز بقوة على طول المياه المتلاطمة حتى اختفى عن الأنظار، وعندها عادوا بحزن إلى منازلهم تحت سفوح جبال الجنوب.

عندما توقف الجذع عن الاهتزاز والارتطام، فتح الشاب القفل بحذر، فلم يجر الماء إلى الداخل، نظر عندئذ إلى الأعلى ودخل شعاع من الشمس إلى الداخل وعرف أن منتصف النهار

Twitter: @ketab_n

لم يحل بعد، وكان باستطاعته أن يرى جزءاً مستديراً من السماء والغيوم من خلال الفتحة. وشيئاً فشيئاً أصبح شعاع الشمس مستقيماً وبعد قليل انحرف في الاتجاه الآخر، وبحلول المساء اختفى الشعاع، وعندها اخرج الشاب بعض الطعام وتناول عشاءه. وبعد فترة استطاع رؤية النجوم وبعدها الخطوط المعلقة (حزام سيف كوكبة الجوزاء)، وعرف أنه قد حان وقت الراحة فاستلقى لينام.

وهكذا، يوماً بعد يوم، سافر الشاب حتى أدرك أنه قد أصبح خارج مياه العالم العظيمة، فلم يعد جذعه يصطدم بأي شيء أو يدخل في أي دوامة، ولم يعد يستطيع أن يرى من خلال الفتحة العلوية أوراق الأشجار المتدلية، ولا الصخور أو أطراف الأرض. وفي صباح اليوم العاشر، عندما نظر إلى الأعلى من خلال الفتحة، رأى أن الغيوم لا تتحرك، وتعجب من هذا فركل الجذع، ولكنه لم يتحرك. عندها نظر بأقصى ما يستطيع ورأى صخوراً وأشجاراً. وحاول أن يهز الجذع ولكنه بقي ثابتاً، فقرر أن يفتح الباب الذي في نهايته.

في الحقيقة كان جذعه قد رسا على شاطئ جبل عظيم برز خارجاً من المياه، وكان هذا الجبل هو موطن الأفاعي المجلجلة. وكانت

Twitter: @ketab_n

إحدى فتيات الأفاعي تسير على الشاطئ في اللحظة التي فتح فيها الشاب باب الجذع. رمقت المركب بفضول وقالت لنفسها: «ما يكون هذا؟» وعليه فقد أسرعت إلى الشاطئ ونقرت على الجذع.

وسألت: «أمن أحد في الداخل؟».

أجاب الشاب: «أجل، من أنت. وأين أنا؟».

«لقد رسوت على جزيرة الأفاعي المجلجلة، وأنا واحدة منهن. وتقع قريتنا على الطرف الآخر للجبل. اخرج وتعال معي فكبار قومي ينتظرونك منذ زمن».

سال الشاب: «هل الأرض جافة في الخارج؟».

«أجل. أجل! أنت هنا بعيداً عن المياه».

وهكذا فتح الشاب الباب من الداخل، ونظر إلى الخارج. وبالفعل وجد نفسه بين الصخور والرمال. ثم نظر إلى الفتاة الأفعى وبصعوبة استطاع أن يصدق ما قالته عن نفسها، فقد كانت أجمل فتاة شاهدها في حياته، كما أنها تشبه بنات البشر وتلبس رداء من قطن. ولكن حول معصمها التف جلد أفعى مجلجلة كان مفتوحاً عند الصدر وقمة الرأس.

Twitter: @ketab_n

قالت الفتاة: «تعال معي» وأرشدته إلى الطريق خلال الجبل وعبر الوادي العميق، حيث انتشرت ثعابين مخيفة تتوهج في ضوء الشمس وبدت له ضخمة جداً مع كل أصوات الفحيح والجلجلة التي تصدر منها، مثل الحصيرة الجافة التي تحركها الرياح. تراجع الشاب نحو الخلف وهو يشعر بالرعب، ولكن الفتاة قالت: «لا تخف، فهم لن يقوموا بإيذائك أو إخافتك بعد الآن. إنهم أهلي». ثم طلبت إليهم أن يتراجعوا ويفسحوا طريقاً لها وللشاب فأطاعوها جميعاً. وعبر الاثنان الطريق نحو الأسفل إلى كهف، ولدى دخولهما إليه وجدا غرفة عظيمة. وكانت هناك أعداد هائلة من الناس بهيئة الأفاعي المجلجلة، شيباً وشباباً مجتمعين في مجلس، فقد كانوا يعلمون بقدوم الشاب. وعلى جدران منازلهم كانت هناك أوتاد ورفوف تتدلى منها جلود الثعابين، مثل ذلك الذي ترتديه الفتاة كطوق. نهض الكبار بينهم وحيوا الشاب بقولهم: «يا طفلنا وأبانا، مرحباً بقدومك، أكنت سعيداً في هذه الأيام العديدة؟».

أجاب الشاب: «أجل، كنت سعيداً».

وبعد مأدبة من الطعام الغريب الذي وضع أمام الشاب، حيث أكل منه القليل، قال له الشيوخ: «أتعلم أنك ذاهب في

Twitter: @ketab_n

طريق طويل ومخيف، وغير معروف للبشر، ولن يصادفك إلا البؤس إذا ارتحلت وحيداً؟ لهذا اجتمعنا لننتظر قدومك وفي حال إصرارك على استكمال الرحلة، قررنا أن نطلب إليك أن تختار أحدنا كرفيق لك».

قال الشاب: «هذا حسن يا أجدادي» وأدار عينيه في المجلس ليعثر على أكثر الوجوه تلطفاً معه، واختار الفتاة وقال: «فلتكن هذه، فهي من عثرت علي وأحبتني وأحضرتني إليكم بلطف ومن دون خوف».

وقالت الفتاة: «هذا حسن، سأذهب».

وفوراً قام الشيوخ المبجلون والموقرون، والشبان والشابات أصحاب الوجوه السعيدة، والمربيات ذوات الأعين اللطيفة، قاموا جميعاً بإحضار جلود الثعابين الخاصة بهم وارتدوها، وسرعان ما امتلأ المكان بالثعابين وهي تفح وتتلوى، وصوت الجلجلة يصدر من أذيالها. وقف الشاب قبالة الحائط يملؤه الرعب مثل جذع مجوف، وقامت الفتاة الأفعى بالذهاب إلى كل عضو من أعضاء المجلس وانتزعت من كل واحد منهم ناباً واحداً ولفتها جميعاً في قطعة من القماش حتى أصبحت صرة كبيرة. ثم مررت يدها على جسدها وأصبحت فتاة بشرية جميلة

Twitter: @ketab_n

من جديد وهي تحمل في يدها جلد الثعبان. ثم قامت بأخذ صرّة الأنياب وقالت للشاب: «تعال، فأنا أعرف الطريق وسأرشدك» وتبعها الشاب إلى الشاطئ حيث يوجد جذعه.

قالت الفتاة: «الآن، انتظر حتى أصلح هذا الجذع كي يصبح جيداً». وأحدثت العديد من الثقوب الصغيرة في الجذع التي أدخلت فيها الأنياب المقوسة، بحيث اصطفت جميعاً مائلة نحو الخلف مثل أشواك القنفذ.

وعندما انتهت من فعل هذا قالت: «سأدخل أنا أولاً، فقد لا يكون هناك مكان لاثنين، وحتى أستطيع أن أكيف نفسي على شكل الفراغ الذي في الداخل فعلي أن أرتدي ثوب الأفعى ثانية. ادخل بعد أن أدخل أنا، واضرب بقدمك الجذع نحو الأسفل إلى مياه الشاطئ، ثم أغلق الباب بسرعة وستقوم المياه بدفعنا».

وفي لمح البصر تحولت إلى شكل الثعبان مرة أخرى وزحفت إلى داخل الجذع. وفعل الشاب كما طلبت منه، وفي اللحظة التي أغلق فيها الباب، حملتهما الموجة بلطف إلى المياه. وحين التفت الشاب لينظر إلى رفيقته المتكورة بالقرب منه، تراجع مذعوراً إلى الخلف.

Twitter: @ketab_n

سألته الأفعى: «مَ أنت خائف؟».

«لا أعلم، ولكني خائف منك، ومع أنك تتحدثين بلطف، فربما عندما أنام ستقومين بلدغي والتهامي، وهذا ما يخيفني».

أجابت الفتاة: «لا، ليس عليك أن تشعر بالخوف، سأغير نفسي». وبعد أن قالت ذلك خلعت جلدها وفتحت الجزء العلوي من الباب وعلقت جلد الثعبان على الأنياب في الخارج.

أخيراً، عندما حلت الظهيرة، أعد الشاب الطعام لنفسه ووضع بعضه أمام الفتاة وطلب إليها أن تأكل.

ولكنها قالت: «لا، وأسفاه! أنا لا آكل من طعام البشر. أليس لديك الغبار الأصفر من أزهار الذرة؟».

أجاب الشاب وهو يخرج حقيبة صغيرة ويفتحها: «بلى، ولكن كيف سأطعمك إياه؟».

«انثره على القطن وأنا سأجمعه بمعرفتي».

وهكذا نثر الشاب كمية كبيرة على القطن، وهو يتساءل كيف ستجمعه الفتاة، ولكن الفتاة فتحت الباب، وأخذت جلد الثعبان وغيرت نفسها إلى أفعى، وعبرت جيئة وذهاباً فوق

Twitter: @ketab_n

اللقاح، فجمعته كله بين حراشفها. ثم عادت إلى شكلها البشري وعلقت جلد الأفعى كما في السابق.

وهكذا طافا حتى وصلا إلى الفروع الكبيرة لمياه العالم العظيمة، وهناك اقتيد الجذع العائم نحو الفرع الجنوبي، وطافا فيه نحو الغرب لأربعة أشهر منذ اليوم الذي ألقى أعمام الصبي الجذع في النهر.

وفي يوم من الأيام قالت الحسناء للشاب: «لقد اقتربنا من نهاية رحلتنا، ولأني اعرف الطريق فسأرشدك. تمالك نفسك جيداً فستقذف المياه منزلنا هذا إلى الشواطئ العالية للجبل الذي تدخله الشمس، وهذه الشواطئ لا يمكن الوصول إليها لأنها زلقة جداً».

ثم ألقت الأمواج الجذع عالياً فوق الضفاف الزلقة، وعندما تراجعت المياه بقي الجذع في مكانه، فقد ثبتته الأنياب.

ثم قالت الفتاة: «فلنخرج الآن، لا تخف على مركبك فستقوم الأنياب بتثبيته بقوة، ولا يهم عندئذ كم سترتفع الأمواج ولا مدى انحدار الضفاف».

Twitter: @ketab_n

عندها حمل الشاب بين ذراعيه الريش المقدّس الذي أعده قومه له، وتبع الفتاة نحو الأعلى إلى مدخل جبل البحر. وبدأ يخرج منه سلم عظيم من قصب عملاق، تدلت على جانبيه سلال كبيرة. وسرعان ما نزل إله الشمس السلم، فتبعه الاثنان. وحيتهما امرأة عجوز لطيفة، جدة الشمس، ومنحا مقعدين في أحد جوانب الغرفة العظيمة رائعة الجمال.

ثم اقترب إله الشمس من بعض الأوتاد على الجدار والتي تدلت منها قوسه وكنانته، ودرعه الشمسي اللامع، ورداء سفره الرائع. وهناك وقف مبتسماً أمام الشاب والفتاة، أروع وألطف الكائنات في العالم، إله الشمس.

حياهما إلـه الشمس، والتفت إلى صرة كبيرة أحضرها معه، وفتحها وعرض عليهما آلاف الخرز والصدف، الأحمر والأبيض، وآلافاً أخرى من الفيروز اللامع، والتي سكبها في الصينية الكبيرة إلى جانب الباب وأعطاها إلى الجدة التي بدأت بفرزها بسرعة كبيرة. ولكن قبل أن تنتهي من ذلك، أخذها إله الشمس منها، وألقى ببعضها بحكمة لا تخطئ في المياه العظيمة كما نلقي نحن بطحين الصلوات المقدّس. وأحضر البقية وأعطاهما للجدة لتحتفظ بهما في مكان آمن.

Twitter: @ketab_n

ثم التفت مرة أخرى إلى الشاب والحسناء، وقال للشاب: «إذا فقد أتيت يا بني كما أمرت. هذا حسن وأنا شاكر لذلك». ثم سأله بصوت بدا أعلى وكأنه صوت أب: «وهل أحضرت معك ما يجعلنا راضين عن أطفالنا؟».

وأجاب الشاب: «أجل لقد فعلت».

«حسن جداً، فليكن. يجب أن تكون ثمينة، فأنت لا تعلم أنني أستطيع تمييز الخير من الشر، حتى بين أفكار البشر، وأن أعلم إن كانت الأضاحي والصلوات صادرة من القلب، من الكلمات والكنوز التي يقدمها هؤلاء الذي يكذبون في مخاطبتي، ويتصرفون ويتحدثون كالأطفال عندما يمزحون؟ انظر إلى الكنوز التي أحضرتها معي اليوم من مدن البشر! بعضها أعتزّ به بصدق، لأنها هدايا قدمت إلي من قلوب طيبة وأنا أقدرها بحيث أنني سأردها في شكل حظ جيد وبركات لهؤلاء الذين قدموها إلي. ولكني وكما رأيت قد ألقيت ببعضها بعيداً في المياه العظيمة حتى يصار إلى جمعها ثانية وتقديمها إلي، فهذه كانت هدايا من أشخاص حمقى ذوي قلوب مخادعة، ولهذا لا مكان لها عندي ولا أستطيع أن أردها لهؤلاء الذين تقدموا بها.

Twitter: @ketab_n

أحضر إلي، يا ولدي، الريش والهدايا التي جلبتها معك. أمي تعيش في الغرفة المجاورة، وعندما تراها فسنقوم أنا وأنت بتقديم أضاحيك هذه إليها».

وهكذا أحنى الشاب رأسه ونثر صرته ووضع أمام إله الشمس الريش الذي أحضره معه، فأخذها إله الشمس ونفخ عليها وعلى الشاب وقال: «شكراً ففي هذا اليوم صححت الأفكار الخاطئة التي كانت تنتابني».

وعندما ظهرت أم البشر الجميلة، إلهة القمر، زوجة إله الشمس، وضع الفتى أمامها الريش الذي جلبه معه وهي أيضاً نفخت عليها وقالت: «شكراً، ففي هذا اليوم...» مثلما قال إله الشمس.

ثم التفت اله الشمس إلى الشاب وقال: «سترافقني في رحلتي حول العالم، حتى تستطيع أن ترى مدن وشعوب البشر، أبنائي، وتستطيع أن تلاحظ كم هم كثيرون. سترافقني في رحلتي لأربعة أيام، ثم ستعود إلى منزل قومك».

وقال الشاب: «حسن جداً!»، ثم نظر نحو الفتاة، فأضاف اله الشمس: «لا تخف يا بني، ستجلس معززة مكرمة في منزلي إلى حين عودتنا».

Twitter: @ketab_n

وبعد أن تناولا الطعام، ارتدى اله الشمس ملابسه مرة أخرى، وارتدى الشاب ثياباً مثله تماماً، ثم جذب ثوب الشمس من على الجدار وقاد الطريق إلى الأسفل خلال المنازل الأربعة للعالم، وخرج في آخر بلاد الأرض.

وعندما دخلا هذا العالم العظيم في الأسفل، كان مملوءاً بالثلج والبرد، وكانت آثار البشر تمتد فوق السهول البيضاء العظيمة، فعبرا مدناً في تلك البلاد البعيدة حيث كان من الغريب مشاهدة الناس وهو يجهدون في إزاحة الثلج من سطوح منازلهم ومداخلها.

وارتحلا إلى المنزل الآخر للشمس، وعبرا خلال الغرف الأربع للعالم ودخلا منزل عمات اله الشمس، وهناك أيضا، قدم الشاب ريش الصلوات والتقدمات للسكان وتسلم شكرهم وبركاتهم.

وبدأا ثانية رحلتهما معاً، وبينما كانا يقتربان من عالم النهار، كانت السماء تحتهما مليئة بأمطار الصيف.

وارتحلا عبر العالم الكبير، وشاهدا مدينة تلو المدينة من صنع البشر، والعديد من القبائل والناس الغريبين، منهم من كان متورطاً في الحروب ويقتل بعضهم بعضاً، وفي أماكن أخرى كانوا

Twitter: @ketab_n

يموتون من المجاعة والمرض، ورأى الشاب من التعاسة والفقر أكثر مما رأى من السعادة بين شعوب العالم. وقال اله الشمس: «إن هؤلاء هم أبنائي الذين أضاعوا حياتهم في السخافات، أو بقتل بعضهم بعضاً في غضب غير ذي فائدة، بالرغم من أنهم إخوة، واني والدهم جميعاً».

واستمرا في رحلتهما لأربعة أيام، وفي كل مساء كانا يعودان إلى منزل اله الشمس، حيث كان اله الشمس يدخل ويعطي جدته حزمة الكنوز التي احضرها معه من الأضاحي التي قدمها له البشر، وفي كل يوم كان يلقي بالكنوز التي قدمها الأشقياء وذو القلوب السيئة إلى المياه العظيمة.

وفي اليوم الرابع، عندما دخلا المنزل الغربي لإله الشمس، قال الإله للفتى: «لقد أتممت مهمتك وأنهيتها، وعليك الآن أن تعود إلى منزل قومك، أبنائي في سفوح جبال شيوانا. كم يوماً تظن أن رحلتك ستستمر؟»

أجاب الشاب بتنهيدة: «عدة أيام».

قال اله الشمس: «لا يا ولدي، اسمع، ستصل في يوم واحد إلى ضفاف النهر الذي أتيت منه. اسمع! ستأخذ هذا العمود

Twitter: @ketab_n

الخاص ببرقي، وستمسك بناصيته بقبضتين قويتين، وسيمتد بعيداً فيجذبك بنعومة أكثر من انطلاقة السهم في الماء. وخذ معك هذه الكنانة من الأسهم التي لا تخطئ، وهذا القوس القوي، والذي بقوته ستستطيع طلب الحياة، ولكن لا تنس تقديم الأضاحي بكلمة صادقة وقلب مخلص. خذ معك رفيقتك ودليلك، الفتاة الأفعى. وعندما تصل إلى شاطئ بلادها أفلت البرق، وسيهبط. وسأرتحل ببطء غداً حتى تكون قد وصلت منزل الفتاة قبل أن أنتهي من الشروق. هناك عليك أن تتوقف لفترة قصيرة، لأن أجدادها الأفاعي المجلجلة، ستأمرها، وعليها أن تطيعهم، وبهذه الطريقة فقط سيكون الأمر جيداً. وعليك أن تقدم إليهم التقدمات التي أحضرتها لكائنات الصيد، ثم عليك أن تكمل رحلتك. استرح حتى الغد، وامض مبكراً وبسرعة الضوء نحو منزل آبائك، فلتكن كل أيامكم سعيدة يا أبنائي». وبهذا استمع إله الشمس للصلوات وشكر الشاب والفتاة واختفى في الأسفل.

وعندما اقترب الصباح، دخل الشاب والفتاة الجذع المجوف وأغلقاه. واستطاع الشاب بشق الأنفس الإمساك بالبرق، الذي جذب العمود المتوهج وألقى الجذع بعيداً في المياه العظيمة وبدأ يسبح بسرعة شديدة نحو منزل الأفاعي المجلجلة .

Twitter: @ketab_n

وكانت الشمس قد تسلقت للتو جبال عالم النهار عندما وصل الجذع الصغير وألقي عالياً فوق ضفاف الجزيرة التي كانا يرتحلان إليها.

ودخل الشاب والفتاة مجلس الأفاعي المجلجلة مرة أخرى، وعندما رأوا الصباغ الأسود يلمع على وجه الشاب طلبوا إليه أن يطلوا وجوههم أيضاً مثله. ولكنهم صبغوا خدودهم بشكل غريب، حيث يمكن رؤيتها إلى يومنا هذا، فجميع الأفاعي المجلجلة لديها صباغ غير متوازن على وجوهها. ثم قدم الشاب لكل منها ريش الأضاحي التي أحضرها معه وأخبر الشيوخ أنه يريد العودة مع الفتاة إلى منزل أجداده.

وأجابوا: «حسناً، فليكن، استمع إلينا أيها الابن والأب، استمع لنصيحتنا. بعد فترة قصيرة ستصل إلى ضفة النهر الذي بدأت منه رحلتك، اترك عمود البرق وسيرتطم الجذع الذي ارتحلت فيه في عمق النهر. ثم سترتحل مع هذه الفتاة ثلاثة أيام. احذر من أن تعانقها، لأنك إن فعلت هذا فلن تكون العواقب جيدة، سافرا بحذر يا ولديّ، ولتسعدا واحدكما مع الآخر».

وهكذا دخلا ثانية إلى الجذع المجوف، ووضعت الفتاة جلد الأفعى على الأنياب في الخارج كما فعلت سابقاً.

Twitter: @ketab_n

وبنعومة لا تصدق جذبهما البرق عبر النهر المتلاطم نحو الضفاف التي تنمو عليها غابات الأشجار، وعندما ضغط على عمود البرق هبط بهما بكل قوته. وألقى الجذع في مياه النهر العظيم، وبينما كان الشاب ينظر نحو الجذع ـ ولدهشته ـ تحولت الأنياب التي ثبتتها الفتاة فيه إلى ثعابين حية، وحتى اليوم وعبر العالم الواسع ومن أراضي الصيف وحتى مياه الغروب نجد الأفاعي المجلجلة وأبنائها.

وارتحل الشاب مع الفتاة نحو الجنوب، وعلى الطريق قتل طريدة باستخدام القوس والسهام التي أعطاها اله الشمس، حتى يكون لديهما لحم ليأكلاه. ولم ينس توصيات اله الشمس. وفي الليل أقام ناراً في غابات الصنوبر، وصنع عريشة للفتاة ولكنها لم تستطع أن تبقى فيها فهي تخاف من النار كما أن ضوء النار يصبغ عينيها. ولم تستطع في البداية أن تأكل من الطعام الذي طهاه لها، فاكتفت بتذوق بضع لقيمات منه. ثم صنع الشاب لها سريراً تحت الأشجار واخبرها أن ترتاح بأمان، فهو سيقوم على حراستها خلال الليل.

وهكذا ارتحلا واستراحا حتى حل اليوم الرابع، حيث دخلا مساء المدينة في سفوح جبال شيوينا حيث رحب بهما

Twitter: @ketab_n

والده، وأخته وأقاربه. وبحصولهما على مباركة كبير الكهنة، عاش الشاب والفتاة وأخته الصغرى واياسيلوهتيتسا في المنزل المرتفع في القسم الأعلى من المدينة. وعاد الفتى إلى سابق عهده صياداً قوياً، أما الفتاة فقد اعتادت أخيراً على طعام وطرق حياة البشر.

وبعد أن عاشا معاً لوقت طويل ولد للفتاة طفلان توأمان.

وكبر هذا الطفلان وهما متعة للناظرين، خلال يوم واحد وليلة واحدة، فلما ظهرا فجأة على أسطح المنازل وفي الساحات قال الناس لبعضهم: «من هذين الغريبين، ومن أين أتيا؟»، وتحدثا عنهما كما يفعل الأغبياء. وقام الأطفال الآخرون في المدينة بضربهما والتشاجر معهما كما يفعل الأطفال الغرباء عادة مع بعضهم. وعندما عاد التوأمان إلى والدتهما وهما يبكيان ويشتكيان، حزنت المرأة المسكينة حتى أنها قالت للأب عندما رجوعه من الصيد في ذلك المساء:

«أيها الأب! لم يعد من المفيد بقاؤنا هنا أكثر من ذلك. وأسفاه! علي أن أعود إلى بلاد أهلي، وآخذ معي هذين الصغيرين» ورغم أن الأب رجاها ألا تفعل إلا أنها قالت: «هذا ما يجب أن يكون». وكان مجبراً على الرضوخ.

Twitter: @ketab_n

وعلى مدى أربعة أيام علمته المرأة الأفعى صلوات قومها وتراتيلهم، وأرشدته إلى الأدوية التي يجب تحضيرها لعلاج عضة أبناء قومها، وكيف يتم تصنيعها، ورجاها الشاب لمرات عديدة ألا تتركه وهو يقول: «إن الطريق طويل ومحفوف بالمخاطر، فكيف ستصلين إلى هناك بسلام؟».

قالت الفتاة: «لا تخف، تعال معي إلى شاطئ النهر العظيم، وسيأتي أهلي للقائي ويعودوا بي إلى المنزل».

في ذلك الصباح الأخير وبحزن شديد، رافق الأب زوجته وأطفاله إلى غابات النهر الكبير. وهناك قالت له إنه يجب ألا يتبعها ولكنه احتضنها وصرخ: «وأسفاه! يا زوجتي الجميلة، وأطفالي الأحباء، يا قطعاً من لحمي، كيف عليّ ألا أتبعكم؟».

عندها أجابت زوجته: «لا تخف ولا تزعج نفسك بالأفكار السيئة، فحيث نذهب نحن لا تستطيع أنت أن تتبعنا، فأنت تأكل الطعام المطبوخ (أنت بشري)، سيحضر آبائي وقومي من أجلي، وإذا تبعتنا لن تعود أبداً». ثم ذهبت بعيداً مع طفليها ولم يرها أحد بعد ذلك، وعاد الشاب بصمت إلى منزله في سفوح جبال شيوينا.

Twitter: @ketab_n

وقد حدث بين حين وآخر، أن عضت الأفاعي المجلجلة بعضاً من شبان القبيلة، ولكن كان عليهم فقط أن يمصوا جروحهم ويضعوا دواؤه عليها، ويغنوا تراتيله وصلواته، حتى يشفوا. وحين كان يحدث ذلك، كان ينفخ عليهم الأنفاس المقدسة ويشاركهم بأسرار الطقوس والترانيم التي علمهم إياها، والتي تم اختيارها وحفظها لهذه المواقف كي تمارس مع الصلوات المكرسة.

وهكذا شفى وعلم ثمانية منهم، إلى أن كان يوم من الأيام صعد فيه جبال الخشب. وهناك بقي وحيداً في الغابات، حيث التقى به أجداده ولدغوه. وعلى الرغم من أنه زحف عائداً إلى منزله ببطء وألم، ولكن قبل أن يصل إلى المدينة بوقت طويل كان متورماً بشدة حتى أن الثمانية الذين قام بتعليمهم حاولوا شفاءه بدون جدوى، فطلب منهم أن يعتنوا جيداً بهدية المعرفة التي قدمتها له زوجته المحبة، ثم مات.

وفوراً قابل أجداده أنفاسه وكينونته وأخذوه إلى منزل الفتاة الأفعى وأطفاله الضائعين. فهل نحتاج إلى المزيد من الأسئلة مثل: لماذا لم يستطيعوا شفاءه باستخدام أدويته؟

Twitter: @ketab_n

وهذا ما كان في قديم الزمان، وإلى يومنا هذا لدينا أشخاص لا تؤذيهم اللدغات القاتلة للأفاعي المجلجلة.

وهكذا تنتهي حكايتي.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-506-2
9 789948 015062